

(كتاب في الآداب الشرعية) . كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا .

٧٠ق ١٩س ٢١×٥ر١٤ سم

نسخة حسنة ، خطها نسخ ، ناقصة الاول والآخر

١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية

أ- تاريخ النسخ .

كتاب في الآداب الشرعية

كتاب الله عز وجل احدهما قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العلم
سيما علم التوحيد والثانية قوله جل ذكره وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العبادة
ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الدارين
فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما
واعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له واذا
علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال النبي صلعم
ان فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وقال اشراف اهل الجنة علما
امتي فبان لك ان العلم اشرف جوهرا من العبادة ولكن لا بد للعبد من
العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة
والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة اذ هي الاصل لكن
الانتفاع بثمرها فاذا لا بد للعبد ان يكون له من كلا الامرين حظ
ونصيب ولهذا قال الحسن اطلبوا هذا العلم طلبا لا يضر بالعبادة
واطلبوا هذه العبادة طلبا لا يضر بالعلم فلا بد للعبد منهما
جميعا والعلم اولا بالتقديم لانه الاصل والدليل والعجب كل العجب من
ان يترك احدهما من عاقل غير عالم اما يهتم لمعرفة ما بين يديه اما
يعرف ما هو بعد الموت مطلع عليه بالنظر في هذه الدلايل والعبر

والاستماع الى هذه الايات والتدبر والانزعاج لهذه الخواطر
والهواجس في النفس قال الله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وقال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم والثاني من عالم غير غافل اما تذكر ما تعلم نبينا ما بين
يديه من الاهوال العظام والعقاب الصعاب وهذا هو النبا العظيم
الذي انتم عنه معرضون والثالث من عالم غير مخلص الا تتامل قوله تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
والرابع من مخلص غير خائف اما تنظر الى معاملته خليله مع اصفيائه
واوليائه حتى يقول لاكرم الخلق عليه ولقد اوحي اليك والى الذين من
قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ونحوها حتى كان عليه السلام يقول شيبتني
هود واخواتها ثم جملة الامر وتفصيله ما قال رب العالمين في اربع
ايات من الكتاب العزيز قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون ثم قال ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير
بما تعملون ثم قال جل من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ثم اجمل الكل فقال وهو اصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه ان الله لغني عن العالمين **فائدة** قال الاصفهاني في منهاج
العابدين اذا اردت ان تعلم خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق
بينهما فزنه باحدى الموازين الاربعة يتبين لك حاله فاولا ان
تعرض الامر الذي خطر لك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير

وان كان بالضد من رخصة او شبهة فهو شر فان لم يتبين لك بهذه
الميزان فاعرضه على الاقتدا فان كان في فعله اقتدا بالصالحين
فهو خير وان كان بضد ما شاع عن الصالحين فهو شر فان لم يتبين لك
بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى فان كان مما تنفر عنه
النفس نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان
مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء وترغيب
فهو شر اذ النفس امارة بالسوء الا ما رحم ربي لا تميل باصلها الى خير
فاجمع هذه الموازين اذا اطرقت وانعم النظر يتبين لك خاطر
الخير من خاطر الشر والله ولي الهداية بفضله انه جواد كريم
فصل والاحسان مبادرة ومعطيه على حفظ السبعة الاعضا
مما حرم قال النبي صلى الله عليه واله وسلم استحيوا من الله حق الحيا
فقال ابن مسعود انا لنستحيي من الله والحمد لله فقال ليس ذلك ولكن
الاستحيا من الله حق الحيا ان تحفظ الراس وما وعى وتحفظ البطن وما
حوى ولتذكر الموت والبلا ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل
ذلك فقد استحيا من الله حق الحيا رواه الترمذي ورواه الطبراني
عن عائشة رضي الله عنها بقرب منه وقال البطن وما حوى والراس
وما وعى **مسئلة** قال بعض العلما اعلم ان الحيا
خير كله وثمرة الخير الدعة والحيا وثمرة الشر الفحش والبذا وكفا
بالحيا خيرا ان يكون على الخير دليلا وقد قال رسول الله الحيا من الايمان

والا بنا في الجنة وقال بعض الحكما من كساه الحيا ثوبه لم ير الناس عيبه وقال بعض البلغا حياة الوجه بحيائه كما ان حياة الغرس بمائه واعلم ان الحيا في الانسان يكون في ثلاثة اوجه احدها حياوه من الله تعالى والثاني حياوه من الناس والثالث حياوه من نفسه فاما حياوه من الله جلت عظمته فيكون بامتثال اوامره والكف عن زواجره كما في هذا الحديث وهذا النوع من الحيا يكون من قوة الدين وصحة اليقين واما حياوه من الناس فيكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح وهذا النوع من الحيا يكون من كمال المروة وحب الثنا واما حياوه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات قال بعض الحكما ليكن استحياوك من نفسك اكثر من استحيائك من غيرك وقال بعضهم من عمل في السر عملا يستحيي منه في العلانية فليس لنفسه عنده مقدار وقال بعض الشعرا

فسري كاعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

وهذا النوع من الحيا يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى كملت احيا الانسان من وجوهها الثلاثة فقد كملت فيه اسباب الخير وانتفت عنه اسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا وقد قال بعض الشعرا

واني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم ذي القربى خلائق اربع

حيا واسلام وتقوى وانني كريم ومثلي من يضر وينفع

وان اخل باحد وجوه الحيا لحقه من النقص باخلاله ما كان يلحقه من الفضل بكماله قيل وكان ابو بكر يتمثل

وحاجة دون اخرى قد سمحت لها جعلتها للتي اخفيت عنوانا

واني قد ارى من لا حيا له ولا امانة وسط الناس عريانا

نعم عدنا الى الحديث فقد فسر الحيا قال العلما والذي يحوي الراس اللسان والاذنان والعينان والانف والفم اصله مدخل الطعام والذي يحويه البطن المعدة والقلب والفرج فليحفظها وليتق ما كله ومشربه حلالا مباحا اما وشبهه فان لذلك تاثيرا قويا في الصلاح والفساد وفي الحديث رب اشعث اغبر يطيل السفر في القرب ملبسه حرام ومطعمه حرام وغذي بالحرام ويرفع يديه يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وقال صلعم لسعد وقد قال له ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ويقال ان الطعام بذر ان دخل البطن الحرام صدر عن الاعضا الحرام وان دخل الفضول بذر الفضول وروي في حديث من قذف في جوفه لقمة حرام لم يقبل الله له صلاة اربعين يوما وروي عن بعض الصالحين انه قال شربت من ركوة جندي فاظلم قلبي اربعين يوما وروي في رسالة القشيري بلغني سنة وعن معروف الكرخي رضي الله عنه كم من اكلة حرمت قيام الليل ليلة وكم من نظرة منعت من قراة سورة وعن بعضهم ان العبد ليأكل الاكلة فيحرم قيام سنة وفي شرح السيلفية في الطب لسابي الذي يجمع المال من اطيب سبله وصرفه في احسن وجوهه الى اخره قال فانظر

ارشدك الله الى هذه الطايفة ما اعلاها واعلاها خصايرا واذا الحذو اني وساهدا
غره في وجه الزمان اوجره في عقد الابرار ومن لنا بان وليك لسعلو باعلى بهم وبمنح
بانوابهم واما المدعون لهذه الحالة فكثير ولكن شاهد الحال يفضحهم نزالحدهم
يتشكك في القطرة من ما السما تصيبت ثوبه ولعله لو اعطي صرة فيها الف درهم
لمال تمين صمام لا احلف ولا امام لا اصل منها فقيرا ولا ابل رحما ولا بر اخا
انتهى قيل وكان الاوزاعي الفقيه يتمثل كثيرا بهذه الابيات

المال يفقد حله وحرامه ٭ طرا ويبقى في غد اثامه
ليس التقي بمتق لالهه ٭ حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوي ويكسب كفه ٭ ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه ٭ فعلى النبي صلاته وسلامه

قيل ومر الحسن البصري بحلقة في المسجد الحرام فاشرف فاذا صبي قد اسند ظهره الى
الكعبة وهو يعظ الناس فكانه يعجب من صغره واجتماع الناس على سماع كلامه
فقال له يا فتى ما ملاك الدين قال الورع قال فما افته قال الطمع قال صدق
قليل الورع خير من كثير الصلاة والصيام والعبادة مع العنا قيل هو س
سئل علي بن ابي طالب عليه السلام ما اغبط فانه يحق لك ان تغبط او كما قال ويحمل
قال بعض العلماء عليك بصيانة بطنك عن الحرام والشبهة وحصول الحلال
ان كان لك همة في عبادة الله تعالى فان البطن اسوء الاعضاء اصلاحا على
المجتهد مؤونة وشغلا اما الحرام والشبهة فلم يكن البحث عنهما لان الله
امورا لا ولا حدا امرنا وجرهنم قال الله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما

قال صلعم كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والثاني ان اكل الحرام والشبهة
مطرود وما يوفق لعبادة الله اذ لا يصلح لعبادة الله الا كل طاهر مطهر
ومن كان منغمسا في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة متى يدعا الى حضرة
الله الكريم وذكره الشريف كلا ولا يكون ذلك قال يحيى بن معاذ الطاعة
مخزونة في خزاين الله ومفتاحها الدعا واسنانه الحلال واذا لم يكن للمفتاح
اسنان فلا يفتح الباب واذا لم يفتح باب الخزانة كيف يوصل الى ما فيها من الطاعة
والثالث ان اكل الحرام والشبهة محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود
عليه غير مقبول منه فاذا لا يكون له من ذلك الا العنا والكد وشغل الوقت
قال رسول الله صلعم كم من قايم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صايم ليس له من
صيامه الا الجوع والظما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل صلاة امرء
في جوفه حرام هذه **ثم قال بعض العلما** ما يسمه ملكا للغير
نهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن لك تعين بل ظن فهو شبهة
وقال اخر مثل الحرام المحض ما يكون به علم او غالب ظن واما اذا استوت
الامارات حتى يعا كاف لا يكون لاحدهما ترجح عندك فهو شبهة يشتبه
انه حلال ويشتبه انه حرام فاشتبه امره عليك والبحث حاله ثم الامساك
عن الذي هو حرام محض واجب وعن الذي هو شبهة تقوا وورع وهذا او
القولين عندنا فهذا بيان الحرام والشبهة على الاجمال فيوجد على طالب
العبادة والطاعة تجنبهما في كل حال لكونهما فيه حراما **واما** حصول
الحلال في الاكثار منه فانه افة وبلية وفيه عشر خصال بل اكثر منها قسوة القلب

ويذهب نوره وروى عنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء **الثانية** ان في كثرة الاكل
فساد الاعضاء وتهييجها وانبعاثها للفضول والفساد فان الرجل اذا كان
شبعانا نظرا استشرف عينه النظر والاذن الاستماع واللسان التكلم والفرج
الى الشهوة والرجل الى المشي واذا كان جائعا فتكون الاعضاء ساكنة هادئة
تطمح الى شيء قال بعضهم البطن عضو اذا جاع شبعت سائر الاعضاء **الثالثة**
ان في كثرة الاكل قلة الفهم فان البطنة تذهب الفطنة **الرابعة** ان في كثرة
ثقله العبادة فانه يثقل بدنه ويكثر نومه وقد قيل اذا كنت بطنا فعد نفسك
زمنا **الخامسة** فقد حلاوة العبادة قال بعضهم تجعل احدكم في بطنه
مخلاة من الطعام ثم يريد ان يجد لذة المناجاة **السادسة** ان فيه خطر
الوقوع في الشبهة والحرام لان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام جزافا وقد قال
بعض الصالحين الحلال لا يسع الاسراف **السابعة** ان فيه شغل القلب
والبدن بتحصيله اولا وبصنعته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بالفراغ منه والتخلص عنه
رابعا ثم بالسلامة منه خامسا بعد وقوعه آفات في البدن قال صلعم اصل
كل داء البردة يعني التخمة واصل كل دواء الازم يعني الحمية وعن مالك
بن دينار انه كان يقول يا هؤلاء لقد احتلفت الى الخلاء حتى استحييت
وقد قيل الجائع خفيف لطيف والشابع يدور حول الكنيف ثم في هذه الكلمة
من طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل ما
يعفا **والثامنة** شدة سكرات الموت على قدر لذة الحياة فمن اكثر

هذه اللذة من تلك **التاسعة** نقصان الثواب في العقبى قال تعالى اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا **العاشرة** الحبس والحساب فان الدنيا حلالها
حساب وحرامها عقاب وشبهها الى عتاب فهذه جملة العشر وفي احدها
كفاية لمن نظر لنفسه وقد عدها بعضهم ورتبها بلا تبرئة فعليك ايها المجتهد
بالاحتياط البالغ في القوت كما لا تقع في الحرام والشبهة فلا تأكل العذاب
ثم الاقتصار من الحلال على ما يكون عونا على عبادة الله تعالى فلا تقع في شر
فساد الحبس والحساب والله الموفق ولا تشك ان في كثرته مضار عظيمة
دنيوية واخروية وقد قال مولانا علي من اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء
وليجود الحذاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظمأ وليقل شرب الماء ويخفف الرداء
ويقل غشيان النساء ولا يؤخر حتى يعرض نفسه على الخلاء وقال في سور الحكم
من اخر الاكل لذ طعامه ومن اخر النوم لذ منامه وما احسن قول الحكيم

لا تشربن عقيب اكلك عاجلا ۞ فيعود طبعك للردا بزمام
واجعل طعامك كل يوم مرة ۞ واحذر طعاما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فانه ۞ ماء الحياة يصب في الارحام

وما اسرف همه مرمال

ولقد ابيت على الطوى واظله ۞ حتى انال به كريم المأكل

قيل ودخل طاووس اليماني رضي الله عنه على مريض ليعوده فقيل للمريض كل
حتى يقوى فقال طاووس لا تأكل فان خلق الله للمريض والصحيح خير من قلة
الاكل قال الصادق رضي الله عنه قلة الاكل محمود على كل حال

وليمد بعد الغدا وليمش بعد العشاء صح

وما اجود قوله

وعمد كل قوم لان فيه مصلحة الباطن والظاهر والمحمود من المأكول من نوع

ضرورة وعدة وقوع وقوت فلا اكل بالضرورة للانبيا والعدة للاوليا

للانبيا والقوع للمتوكلين والقوت للمومنين وليس شي اضر لقلب المومن

من كثرة الاكل وهي مورثة القسوة وهيجان الشهوة والجوع ادام المومنين

وغدا الروح وطعام القلب وصحة البدن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما ملا ادمي وعا شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلة يقيم صلبه فان كان

لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقال داود صلعم ترك لقمة

مع الضرورة اليها احب من قيام عشرين ليلة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا وقال النبي صلى الله عليه وسلم

ويل للناس من القبضين البطن والفرج وقال عيسى روح الله صلعم

ما مرض قلب اشد من القسوة وما اعتلت نفس باصعب من بغض الجوع

وهما زماما الطرد والخذلان قال بعض العلما ما زاد على الثلث

البطن فهو اسراف قال **فائدة** الغزالي رحمه الله انه تصدق ببعض اليوم والله

انتهى ولنرجع الى ذكر اعضا الراس التي لاجلها وضع هذا الكراس

فصل ولنبدا بذكر القلب لانه الامير الذي اذا صلح صلحت سائر الجسد

فحسن ذكره كما حسن ذكر البطن لما تفرع عليه والحديث ذو شجون والقلب

موقف وانواعه تحقيق للراغبين ما يرجون وكان البداية بالقلب اولى

لكن القلب ما حوى البطن ولذا تاثر في قسوته وتغيره والامر قريب

ثم عليك بتطهير قلبك من الريا الكبر والريا والعجب والحسد والحقد

والغل وتعقده كل العقد وتعهده كل التعهد فانه موضع نظر الله تعالى

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد

كله الا وهي القلب وقال التقوى هاهنا التقوى هاهنا يشير الى صدره

ثلاث مرات فانظر الى اشارات الحشر البدر ثلاث مرات الى هذا

الامر واجتهد في تطهيره كل التطهير وشمر لصلاحه كل التشمير

فبه يقع صلاح اعضايك السبعة ان شا الله تعالى فمن خبايثه العظيمة

الكبر وهو اول معصية عصي الله تعالى بها كما قال الامام المهدي رضي الله

عنه في قصيدته التي سماها الناصحة للمدكرين والفاضحة للمتكبرين

وكبر عظيم وهو اعظم زلة ومن اجله الباري بابليس اغرى

والكبر هو نتيجة استعظام النفس وتأمل كواشح عقليه وشرعية عن

الكبر منها وكيف يستعظم نفسه من هو كما قال مولانا علي كرم الله وجهه

اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك حامل العذرة وقال

الاحنف بن قيس عجبا لابن ادم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين

وقال الحسن العجب لابن ادم يغسل الخرا بيده كل يوم مرتين وهو يتكبر

يعارض جبار السموات قيل وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل

حمق لم يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر قال الماوردي وما

اشبه ما قال بالحق ولله در تعالى العتاهية حيث يقول

ما بال من اوله نطفة يا عجبا للناس لو فكروا وحاسبوا انفسهم ابصروا

وعبروا الدنيا الى غيرها فانما الدنيا لهم معبر

ما خالدين اولـه نطفه وجيفة اخره يفخر

ما العجب الا من اهل التقى غدا اذا اصبحهم المحشر

لتعلم الناس ان البقا والبركا ناحين ما نذخر

وقال اخر

عجبت من معجب بصورته وكان من قبل نطفة مذره

وفي غد بعد حسن هيئته يكون في اللحد جيفة قذره

وهو على تيهه ونخوته ما بين جنبيه يحمل العذره

وقال اخر

يا مظهر الكبر اعجابا بصورته انظر خلاك فان النتن تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن ادم مثل الراس مكرمة وهو بخمس من الاقذار مضروب

انف يسيل واذن ريحها سهك والعين مرمصة والثغر ملعوب

يا ابن التراب وماكول التراب غدا اقصر فانك ماكول ومشروب

وما احسن ما قاله الامام قدس الله روحه في

كسر سورة الكبر المروي ايها العبد الذي نسج الشيطاني بسحره فتكبر وانساه نعمة مبداه فتجبر وتحكم الم تعلم انك وان قومت احسن تقويم في حومركز ومعنا بك الحسن بوجهم فانك احش الحيوان مبداه وقد ربما كنت طرا وبطنا اصلك نطفة مذره او دعت في محله قذره عد بك فيها مستقذرات الحيض واستوطنت منها الاذى معطن ومربض جاوزت فيه احب الارباب ثم خرجت من بين مبعر ومبال مسلوب عقل وقوى اسير خيال وها انت تصبح بعد ذلك كاسفا المبالك ومبعرك ان خليت اكلت الطين وشربت الماء المهين ثم حين بلغت اشدك واستحكم رشدك عرفت ان اشرفك محل المخاط ومسع اللعاب والريق واسفلك مهب ريح نتن واطيب بطون افوه تصوته فصح وبرا بالمرار وبعده واوسطك وعا العذره ومحل الدود القذره لا تستطيع التنزه عنها والخلوص في كل من الاحوال منها ان جعت وان شبعت طغت عقلك حار توبك عن ذوق عيشك ولو حضرك عقل راح ابراك بحثه الغاضح وكيف لم تحمل حبل السابا من اثر تحملك الذباب بل يعمش ابصاره في الحش فتح وصديد ومحش غيره صديد ثم ينتفض اليك مسرعا ويسجد غريبين ايديك متربعا ومحاجر عينيك مرتعا فاذا اسمعه طنين فانه غائبا اليك عون بعد عون اعزك ضعا ستريك وملابسه جلدتك ونتنها ثم بهتك وذوي بحبك ما يحال لذا استحسنتها فيها المعنى واي معجبه فيك بها تزهو سحقا العقلك سحقا وبعدا للكل ومحقا فاخسا يا مربع الكتام والبرغوث عن المباهاة ما كلبه المعوث فانما انت جراب محروق على كل حسنه تعوق بمادة طبا بكره وعشيانه نعدفه شيئا فريا فالتبس في معشا يدو نطعه اثره من المنتج بغربته وبرايه انتهى كلامه عليه المعقول في هذا الكتاب ومن هذا المعنا قول من قال

فلا سكر معجب في بني وللوردة الكبر والخيلا

وما يصف معرا اليها ولو يدفى له في شبابه ابو وبهالي
هل الحلم الا نطفة في مشيمة نمت بدم الاحشاء شهرا تماما
وهل هو الا طرف بول وغائط ولو نظل من طيبه بكل طلا
كثيف ولكن ستره حذر راته بقميص واسمال ردا
فبعد الشي هذه صفته وسحقا ابا لا ابغاس شانا

نعم واما الادلة الشرعية على ذم الكبر وقبحه فهي كثيرة شهيرة
قال تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه انه لا يحب المستكبرين قال
في منهاج العابدين اقل ما يفعله الكبر على صاحبه اربع آفات
احدها حرمان الحق والعمى عن آيات الله وفهم احكام الله تعالى
قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك
يطبع الله على قلب كل متكبر جبار الثانية المقت والبغض من الله
قال سبحانه ان الله لا يحب المستكبرين وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب
من ابغض خلقك اليك قال تعالى من تكبر قلبه وغلظ لسانه وضيق عينه
وبخلت يده وساء خلقه الثالثة الخزي والنكال في الدنيا قال حاتم
الاصم رحمه الله احذر الموت من خوف بلية الكبر والحرص والخيلا
فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من اراذل
وخدامه والحريص لا يخرجه الله من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة
ماء ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله من الدنيا حتى يمرغه ببوله
وقذره وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله ذلا بحق والرابعة الذل

والعذاب في العقبى على ما روي ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته نار جهنم والمعنى ان
الكبرياء والعظمة من الصفات التي تختص بي لا ينبغي لاحد غيري كما ان
رداء الانسان وازاره يختص به لا يشاركه فيه وان خصلة تفوتك
معرفة الحق وفهم آيات الله واحكامه الذي هو اصل الامر كله ثم
تثمر لك المقت من الله سبحانه والخزي في الدنيا والنار في الآخرة ولا
ينبغي لعاقل ان يغفل عن نفسه ولا يصلحها بالحذر والتحرز والاشتغال
بالله من ذلك وهو تعالى ولي التوفيق والعصمة بمنه وفضله نعم
وعنه صلعم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر وهو
غمض الناس وبطر الحق وقال صلعم من تواضع لله درجة رفعه الله
درجة حتى يجعله في اعلا عليين ومن تكبر على الله درجة يضعه
الله درجة حتى يجعله في اسفل سافلين ولو ان احدكم يعمل في صخرة
صما ليس عليها باب ولا كوة لظهر ما عمله للناس كائنا ما كان وقال
صلعم من تواضع رفعه الله تعالى وقال انتعش نعشك الله فهو في اعين
الناس عظيم وفي نفسه صغير ومن تكبر قصمه الله وقال اخسأ
فهو في اعين الناس صغير وفي نفسه كبير ومن كلام مولانا علي كرم الله
وجهه وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان رفعة الذين
يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له نعم قال في منهاج العابدين
واما الكبر فاعلم انه خاطر في رفع النفس واستعظامها والتكبر اسا عنه

التواضع خاطر في وضع النفس والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما
خاص وعام فالتواضع العام هو الاكتفاء بالدون واحتقار ما هو
من المطعوم والملبس والمركب والتكبر في مقابلته التكبر عن ذلك والتواضع
الخاص تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا او شريفا والتكبر
في مقابلته التكبر عن ذلك وهو معصية وخطيئة عظيمة ثم خص التواضع
العام ان يذكر مبتداك ومنتهاك وما اتت عليه في الحال من ضروب
الآفات والأقذار وخص التواضع الخاص هو ذكر عقوبة العادل
عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر قال والعجب
شعب الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب يتصور على الانفراد
فان انضاف الى العجب ان يرى لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك ادلالا
وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه وعلامة الادلال ان يتعجب
من رد دعائه ومن استقامة حال من يؤذيه قال والعجب هو استعظام
العمل الصالح **فائدة** يعرف من بعض ما هنا قال
في ادب النفس عن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر بن محمد عليهم فقال
لي يا سفيان انا رجل مطلوب وانت رجل تسرع الى الناس فاسأل عما بدا لك
واخرج فقلنا يا ابن بنت رسول الله ما جئتك الا مستخبرا فقال يا سفيان
ابى الله المعروف والمعروف لا يتم الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره
فانك اذا عجلته هنأته واذا صغرته عظم عند من تسديه اليه واذا سترته
اتممته وفي منثور الحكم اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره

يعني ان يكون مثل العامل به خير المنعم

وضد العجب ذكر المنة وهو ان تذكر انه بتوفيق الله تعالى وانه الذي
شرفه وعظم ثوابه وقدره قال بعض العارفين حق العبد ان
يتحفظ في العمل من عشرة اشياء النفاق والرياء والتخليط الذي يعمل لله
وللناس او قصد به الدنيا والآخرة والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة
والتهاون وخوف ملامة الناس ولكل واحدة ضد فضد النفاق الاخلاص
وضد التخليط التفريد وضد المن تسليم العمل لله سبحانه وتعالى وضد
الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة
وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف
الملامة الخشية فالنفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى يحبطان
الصدقة والندامة تحبط العمل والعجب يذهب اضعاف العمل والحسرة وخوف الملامة
والتهاون يخسف العمل فيذهب زيادته ومن رأى الثواب يحصل
بعضا واين واحوال كالاحسان الى احد من اهل الخير ثم الى الوالدين
وجود ذلك **تنبيه** قال الصادق رضي الله عنه
العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بم يختم له فمن اعجب
بنفسه وفعله فقد ضل عن منهج الرشد وادعى ما ليس له والمدعي من غير
حق كاذب وان اول ما يفعل بالمعجب نزع ما يعجب به ليعلم انه عاجز حقير
ويشهد على نفسه ليكون الحجة اوكد عليه كما فعل بابليس والعجب نبات
حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها
الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر

وبرئ من النفاق وما بدا ان ثم انتهى من كلام مولانا علي عليه السلام عجب المرء
بنفسه احد حساد عقله وقال سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة
تعجبك وقال بعضهم ان العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة ويعمل الحسنة
يدخل بها النار وقال بعضهم لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي
من ان ابيت قائما واصبح معجبا او كما قال وهو قريب المعنى من قول الشاذلي
معصية اورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا اذا
عرفت هذا هكذا فاحذر الكبر والعجب والبس شعار التواضع والخضوع
لله تعالى الكبير المتعال وعليك فانك ان تواضعت بالفعل والقلب منكر لم
ينفعك ذلك وربما ينقل عن خصيص التكبر ومن علامات ذلك ان تعتقد
انك من المتواضعين فاذا اعتقدت ذلك كنت من المتكبرين المحققين

قال الشيخ ابو الفضل احمد بن محمد الشاذلي رضي الله عنه
من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع
الا عن رفعة فمهما اثبت لنفسك رفعة فانت متكبر ليس المتواضع الذي
اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى
انه دون ما صنع **فائدة** التواضع سعادة وعوائد الكبر مع تقوى
يعلق بما تقدم بل نزيد في الفائدة **قال** في ادب الدنيا والدين
ومن الحمق الصريح والجهل القبيح ما حكي عن نافع بن جبير بن مطعم انه جلس
في حلقة العلاء بن عبد الرحمن وهو يقرئ الناس فلما فرغ قال اتدرون
لم جلست اليكم قالوا جلست تسمع قال لا ولكني اردت التواضع لله بالجلوس

اليكم قال الماوردي فهل يرجى من مثل هذا فضل او يسمع لديه
عذل ابيها **فرع قال** بعضهم التواضع كمال من غير كمال والتواضع
مع الكمال زيادة في الكمال والاستكمال لصفة الكمال نقيصة في الكمال
والاستكمال من غير كمال باطل وضلال وقيل في بعض الراسخين في العلم
ان الراسخ من وجد في علمه التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع
فيما بينه وبين الخلق والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما
بينه وبين نفسه انتهى **فصل قال** الصادق رضي الله عنه
التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة والتواضع ما يكون لله
وفي الله وما سواه فكبر ومن تواضع لله شرفه على كثير من عباده
واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وليس لله عبادة يرضاها
ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما معنى التواضع الا المقربون من
عباده المتصلون بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله
اعز خلقه وسيد بريته بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية
والحياء وانهن لا يثبتن الا منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي
الا للمتواضع في ذات الله تعالى **فرع قال بعض الصالحين**
حدثتني نفسي باستحقار رجل فعالجتها فابت الا الترفع عليه فطلبت
ذلك الرجل الى منزلي وقلت له لي اليك حاجة وهي ان تضع قدمك على وجهي

فاباها حتى غربت عليه وكلما اراد ان يرفعها كره ذلك وغربت عليه حتى وجد
ثاني يليه قدر ان هذا معنى الحكايه وقريب منها ومن واديها ما روي ان
عابدا كان يتعبد في الغار فكان ذات يوم والوحوش حواليه فاعجب
بعمله فسخر احدها وما رئي في وجهه يعرف ان ذلك بسبب الخاطر
الخاطر فسال الله السلامه وروي ان عابدا كان يسير تحت غمامه
تظله فدخل معه تحتها رجل فقال اخرج لئلا يطفي احدنا انها يسير
فخرج فتبعته الغمامه وتركت العابد لاجل عجبه او رياه فسال الله
السلامه وصلاح النيه فانما الاعمال بالنيات **فصل اعلم ان**
الرياء من اعظم الافات واكثر المحبطات للطاعات وهو ان يفعل الطاعه
ويترك المعصيه مريدا بذلك حصول شرف في الدنيا نفعا او غيره
وسوا اراد مع ذلك التقرب الى الله تعالى ام لا وهذا القسم هو الذي
سماه الغزالي مخلطا وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه
ترك العمل لاجل الناس رياء
وكذا ما خطر قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما
انظر الى فعلك من الحي والميت لا يغني عنك شيا والرياء شجره لا تثمر الا
الشرك الخفي واصله النفاق قال تعالى للمرائي حين ثواب عملك ممن اسرته
فانظر من تدعوا ومن تعبد ومن ترجوا ومن تخاف واعلم انك لا تقدر على
اخفاء شي من باطنك عليه تعالى فتصير لنفسك قال الله عز وجل يخادعون
الله وهو خادعهم وقال عز وجل يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون

الا انفسهم وما يشعرون واكثر ما يدخل الرياء في النطق والكلام والماكل
والمشي والمجالسة واللباس والضحك والصلاه والحج والجهاد وقراة
القران وساير العبادات الظاهره فمن اخلص سره وخشع لله قلبه
وراى نفسه مقصرا بعد بذل كل مجهود وجد الشكر على ...
ويكون ممن يرجا له الخلاص من الرياء والنفاق اذا استقام على ذلك على
كل حال الى ان قال بعض العلما ومن ادوية الرياء التفكر
في ان الخلق كلهم لا يقدرون على نفعه بما لم يقضه الله له ولا على ضره
بما لم يقدره الله تعالى عليه فلم يحبط عمله ويضر دينه لمراعاة من لا يملك
له في الحقيقه نفعا ولا ضرا مع ان الله تعالى يطلعهم على نيته ويفضح سريرته
كما صح في الحديث من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به **واعلم ان**
امر الرياء دقيق فينبغي للمحاذرة له ولاسبابه قال بعضهم لو امر
لمراي ملك الجنه لا ينبغي سطر من براه وعن يحيى بن معاذ انه قال لو دخل
عليك صبي لتغيرت حاله وعبرت ظاهرك من قبله الا امر الرياء
لدقيق ... وراى عمر رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبه ارفع
رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وراى
ابو امامه رجلا يبكي في سجوده فقال انت لو كان هذا في بيتك
وعن مولانا علي كرم الله وجهه انه قال للمرائي ثلاث علامات
يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني
عليه وينقص اذا ذم **تنبيه** قال بعضهم للرياء على خمسة اوجه

اولها وهو اعظمها ان يكون الرجل يصلي ويزكي ويصوم ويظهر الدين وفي
الباطن لا يفعل شيئا من ذلك فهذا كفر بالله لانه يرى الناس اعظم من الله
والثاني يظهر الدين والصلاة في حضور الناس ويأتي في الباطن ببعض
ذلك فهذا ادون من الاول وقد ورد في الحديث من احسن الصلاة
حيث يراه الناس واساءها حيث لا يراه الا الله فتلك استهانة استهان بها
ربه تعالى ومن ترك المعاصي حيث يراه الناس وفعلها حيث لا يراه الا الله
فقد جعل الله تعالى اهون الناظرين اليه والثالث يظهر الدين بحضور
الناس وفي الباطن لا يبغض من ذلك شيئا ولكن يقول باللسان صليت وصمت
وزكيت ويعرض على الناس اعماله فهذا ادون الثاني **قلت** وقد ورد
في الاثر ما معناه ان الرجل ليعمل العمل الصالح في السر فيكتب سبعين ضعفا
فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس فيمحا الاضعاف فيكتب علانية ثم
لا يزال به حتى يكتب رياء والرابع يصلي باطنا وظاهرا ويؤدي
جميع ما عليه في الظاهر والباطن ولا يقول باللسان صليت وزكيت
ولكن يشتهي في القلب مدح الناس عليه فهذا ادون الاولين والخامس يفعل
الطاعات ظاهرا وباطنا ولا يقول باللسان ولا يشتهي بالقلب مدح
الناس ولكن اذا سمع مدح الناس له يفرح بعلمه فهذا ادون الرابع
وينبغي ان يعاتب نفسه ويلومها حتى يسلم من ذلك **فائدة** فيها
ما يستعان به على حسم مادة الرياء منها ما تقدم من قول الصادق وعن
قال ـــــ الغزالي وغيره يستعان على ذلك بان يعلم ان الله يعلم

اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك شيئا اعلمه واستغفرك لما لا اعلمه صح

فعلك دواما في عملك احاط سبحانه بكل شيء علما قال تعالى الله الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على
كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما كانه سبحانه يقول خلقت
السموات والارض وما بينهما وانت تشطرك لتعلم اني عالم قادر ترانى
تصلي ركعتين معا ما فيهما من المعايب والتقصير فلا تكتفي بنظري
اليك وعلمي وثنائي عليك وذكري لك حتى تحب ان يعلم الخلق بتهجدك
بذلك وقال بعضهم غيب نظر الخلق اليك بوجود نظر الحق اليك وغبت
عن اقبالهم اليك بشهود اقباله عليك ولان عبادتك لو وجهتها الى
غير الله لم يكن لها قيمة الا ترى انك لو اجرت نفسك بعد بركعتين لما
حصل لك على ذلك طائل فاذا وجهتها الى الله بالاخلاص كان خيرا
من الدنيا وما فيها ثم انك كمن يهدي هدية يحب بها السلطان ويحابيها
بها وقد علم بقصدك فلما وصلت اليه اهديتها لكناس وترك الملك مع
علمه بقصدك ومحبته لهديتك فانه يغضب عليك هو والناس وهكذا
حال المرائي وانك كمن معه سلعة يمكن بيعها بالاف مثقال فباعها بفلس
فلا شك ان ذلك خسران وحمق كذلك المرائي ثم اذا اردت خير الدارين
فسله ممن يملكه وهو عليه اقدر وازمة القلوب بيده وله الخلق والامر
وهو على كل شيء قدير ⁂ يا منتهى الجود والنوال ⁂ في فعله منتهى الجلال ⁂
قد خيب الله ذا رياء وابطل السعي والكلال ⁂ من كان يرجو لقا ربه اخلص من خوفه الفعال ⁂
النار والخلد في يديه فرائه يعطك النوال ⁂ والناس لا يملكون شيئا فكيف تأتيهم ضلالا ⁂

تتمة وروي ان بعض الصالحين صام ثلاثين سنة ولم يشعر بذلك
احد من بني ادم **تنبيه** قال الغزالي قد يقول الشيطان اجتهد
في الستر فان الله سيظهره ويعلم كل عامل عمله ثم يريد بذلك ان يوقع العبد
حتى جاهد في ضرب من الرياء فليقل يا ملعون كنت ياتيني من وجه افساد
علي فلما يئست من اخلاصه لتفسده علي انا انا عبد الله وهو سيدي ان
شاء اظهر وان شاء اخفا وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا وذلك
اليه وما ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس بايديهم شي ولعل هذا
من مخافة قول الشاذلي ربما دخل عليك الرياء حيث ينظر الخلق
اليك استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك
في عبوديتك فعقد قلبك في عملك وعلمك وربط عملك بالعلم وعلمك
بالاخلاص واخلاصك بالحلية من الخوف قال في منهاج العابدين
اعلموا ان العبد لا بد له من اربعة اشيا العلم والعمل والاخلاص والخوف
فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص
العمل والا فهو مغبون ولا يزال يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد والا فهو
مغرور الى ان حظوظ النفس دوابها من وجدها الا الاخلاص عاجلا او اجلا والعمل
لاجل جمع الفعلين بالتشهير انف قال في المرقات **مسئلة** واما الطا
الطاعات والنوه بفعلها قال جار الله الزمخشري وانما يجوز مثل ذلك اذا
ضعوان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والسر افضل ولو تكن
الا الفتنة باهل الرياء الكفاية قال في الارشاد وان اراد ان يقتدوا

بفعله للاقتدا احتكام افعال الصالحين غيره ففيه ما يكفي ويشفي ويسلم
من الريا او الشبهة المشبه باهله **قال** الغزالي واعلم ان الريا
والعجب افة عظيمة تقع في لحظة وربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكي
ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق الذي
ابتعته في الحجة الاولى بل الذي ابتعته في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان
وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه قال ويجوز اظهار الطاعات
لاجل اقتدا الناس وترغيبهم اذا اصحت النية ولم يكن معها شهوة خفية
وعلامته ان يعتبر ان الناس لو اقتدوا باحد اقرانه وكفي مونة الترغيب
واخبر بان اجره في الاسرار كاجره في الاظهار ما ترغب في الاظهار فان
كان ميله الى ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الريا لانه كان
يطلب منازل الناس وخلاصهم فقد حصل ذلك بغيره ولم يفته الا
اظهار نفسه قال ولقد سمعت بعض العلما يحكي عن الحسن البصري رضي الله عنه
انه رأي في المنام بعد موته فسيل عن حاله فقال اقامني الله بين
يديه وقال يا حسن اتذكر يوم كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم
فزدت حسنا لصلاتك فلولا ان اول صلواتك كانت لي خالصا لطردتك اليوم
عن بابي ولقطعتك مني مرة واحدة قال فاذا كان الامر في الجملة الدقة والصعوبة الى حد
عظيم خطرا ولوالا انصار فيه خافوا على انفسهم حتى ان منهم من لم يلتفت الى
جميع ما يظهر للناس من اعمال الحسنى يحكي عن رابعة العدوية انها قالت ما ظهر
من اعمالي لا اعده شيا وقال اخفوا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم واخر

يقول ان امكنك ان تجعل لك حسابا من الخير فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة
هل عملت عملا ترين انه يقبل منك قالت ان كان شيء فخوفي من ان يرد علي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع
ومالك بن دينار فقال مالك اما طاعة او النار فقال محمد بن واسع اما
رحمة الله او النار فقال مالك ما احوجني الى معلم مثلك وعن ابي يزيد
البسطامي انه قال كابدت العبادة ثلاثين سنة فرايت قائلا يقول يا ابا
يزيد خزائنه مملوءة من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة
والافتقار وسمعت الاستاذ ابا الحسن يحكي عن الاستاذ ابي الفضل رحمه الله
انه كان يقول لي اعلم ما اعمل من الطاعات غير مقبول عند الله فقيل له
ذلك فقال لي اعلم ما يحتاج اليه العمل حتى يكون مقبولا واعلم اني لست
اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة قيل له فلم تفعلها قال عسى ان يصلحني
الله يوما فيكون النفس مشغولة بعمل الخير فلا احتاج ان اعودها ذلك من
الراس فهذا حال هؤلاء الاعلام ذوي المجاهدات والاقدار كما قال القائل
فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم وقع الاياس وخابت الامال
هيهات تدرك بالتواني سادة كدوا النفوس وساعدتها الاقبال

فصل من اقوال العلماء في الاخلاص اعلم ان

الاخلاص كما قال الصادق يجمع حواصل الاعمال وهو معنى
مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا فمن يقبل الله منه ورضي عليه فهو المخلص
وان قل عمله نعم وللاخلاص حقائق عند اهل الشريعة هو ان يفعل
الطاعة ويترك المعصية للوجه المشروع غير مريد للثناء والغرض الدنيوي

ملاحظة

وفي بعض كتب المعاملة وعلماء الطريقة يصح ان يقال حقيقة الاخلاص التوقي
عن ملاحظة الاشخاص وقيل هو التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق
التوقي عن مطالعة النفس وهو العجب عندهم فالمخلص لا رياء له والصادق
لا اعجاب له وقيل ان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى
الخالق وقيل ان تستوي افعال العبد في الظاهر والباطن وقيل
الاخلاص فقدان رؤية الاخلاص وقال اخر ان يكون حركة العبد وسكونه
كلها لله وقال بعضهم هو الا يريد صاحبه عليه عوضا
في الدارين وفي هذا اشارة الى ان حظوظ النفس واثار مرادها افة
الاخلاص عاجلا او اجلا والعمل لاجل نعيم النفس بالشهوات في الجنة
معلول بل الحقيقة الا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى ما اثمر هذه الاحوال
والاقوال وتخلق تلك بالاخلاص والصدق وخلوه من الرياء والعجب وسائر
الاخلاق الذميمة فان السائر في العبادة كما قال بعض العارفين في الصفوة
الكبرى فان خوفه واحد خير من الف خرزة واما الذين جعلوا
العيوب وعقلوا عنها في القلوب واشتغلوا باتعاب النفس في الركوع
والسجود والامساك عن الطعام والشراب ونحوهم وغيرهم العدد والكثرة
ولم ينظروا اما في الجد والصفوة وما يعني عدد الجوز والاب فيها وما ينفع
رفع السقوف ولم تحكم مبانيها قال الغزالي طلب الدنيا بعمل
الخير رياء ولو من الله عند علمائهم لانهم اعتبروا في الرياء المراد لا الذي
يريد منه فان كان مراده بعمله دنيويا فانه رياء سواء اراده من الله

او من الناس وقد اعترض هذا الاخير بعضهم وبحثه فيها ان اقوى

تنبيه وادلة الاخلاص وكونه شرطا في صحة العبادات والاعمال
والدعا ظاهرة شاهرة في الكتاب والسنة والاثار قال تعالى مخلصين
له الدين وادعوه مخلصين له الدين وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين الا لله الدين الخالص وقال صلعم اخلص لعملك يكفك القليل وقال انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم من اخلص لله اربعين
يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال بعض الرجال
الاعمال صور قائمة ارواحها وجود سر الاخلاص فيها تذكرة قال بعض
العارفين قال صلعم من اخلص لله اربعين يوما الحديث وترى اقواما يدعون
الاخلاص اربعين سنة واكثر من ذلك ما شهد لهم شاهد الحكمة وما جاد
على قلوبهم غيث الرحمة وذلك من حيث ظنوا ان الاخلاص هو كثرة الصلوات
والصيام والحج والصدقة وذكر اللسان وحرظ المساجد وهيهات
انما الاخلاص هو تجريد القلب وتعريته وتصحيح الحب وتجديده ومراقبة
الرب وتوحيده وتفريق المال وتبديده وتهذيب العزم وتشديده
وتصعيد الحسن وترديده بصفة الواله العميد والصب الشهيد
الذي تعلقت عين فؤاده بمشهوده ولتشعب امامه وجوده لموجوده
فاستمسك بالعروة الوثقى واستقل بهمته الى الطور الاعلى واسعفا
واسعفا عن كل احد بالمولى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى لحضرة المصطفى اذا خلا في صفه من صدق ووفا وطهر

من درن الشك وصفا وعفا وانقطع اثر حب الدنيا عن قلبه فبحبه الله عز
وجل المغفرة والحكمة وبحبه رسول الله صلعم حسن الخلق والسنة وبحبه
الصحابة رضي الله عنهم التصديق والعفة وعاش في الدنيا بانفاسهم
لما شرب من رحيق كاساتهم ينبطو الاستقلال وقد شرب كاسات رجال
واعرض عن النفس والاهل والمال ذلك سيد الرجال وابو الاشبال
وابن الكمال فاطلب امثاله وهو قليل الامثال ولعله اختفا بشواهده
وعليك بمحبته والشوق على صحبته فذلك هو المطلوب والمحب المحبوب
فاعلم ذلك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته **واعلم** ايها الولد
ان الدنيا طريق وعاقبتها الاخرة وبحر ساحلها الساهرة واطرقتها
الهوى وسفينة بحرها الصبر على البلوى وصحابة سفرها المتقون
وقطاع سبلها الفاسقون فمن صحب المتقين خلوه واوصلوه ومن
صحب الفاسقين قطعوه وخذلوه انتهى **فصل ومن ذنوب**
القلب الحسد والغل والحقد والبغضا وفي الحديث الحسد ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب وعنه صلعم لا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره وقال صلعم لا يجتمع في جوف عبد الايمان
والحسد وقال انس بن مالك رضي الله عنه يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي
وليس في قلبك غش لاحد فافعل وقال الصادق رضي الله عنه
الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة.

يا ادم صلح الحسنا والهدا فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد
الا محمد يثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع الحاسد الحسد
وماذا يضر المحسود والحسد اصله من غل القلب ومحمود فضل الله
خلا خان للكفر والحسد او وقع ابن ادم في حسده ابدا وهلك هلاكا ابديا
منه ابدا تم كلام الصادق وصدق رضي الله عنه وارضاه وعن ابائه
امين

قال في كتاب ادب الدنيا والدين

من رضي بقضا الله لم يسخطه احد ومن قنع بعطايه لم يدخله حسد ولعله من

وقال بعض الحكما ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحسود
دايم وهم لازم وقلب هايم قال ولو لم يكن من ذم الحسد معا ما روي عن
النبي صلى الله عليه واله وسلم الا انه خلق دني يتوجه نحو الاكفا والاقارب
ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كرما والسلامة منه
مغنما فكيف وهو بالنفس وعلى الهم مضر حتى ربما افضى بصاحبه
الى التلف من غير نكاية عدو ولا اضرار بمحسود قال معوية لبعض
في خصال الشر اعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود
وقال بعض الحكما يكفيك من الحاسد انه يغتم في وقت سرورك
وفي منثور الحكم عقوبة الحاسد من نفسه وحقيقة الحسد شدة الحرص
على الخيرات تكون للناس الافاضل وهو غير المنافسة لان المنافسة
طلب التشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر على الافاضل
الغبطة وروي عنه صلى الله عليه واله وسلم المومن يغبط والمنافق يحسد

مضموح

وقال الشاعر

يا من علا الخيرات اهل التقى فاما الذي لحادثات
واذا ابتلى الانسان بحاسد استعاذ بالله من شره وتوقى مصارع كيده
وعوايل حسده وتحذر من ملابسته وادنايه لعطل دايه واعوزه
دوايه فقد قيل حاسدا لنعمة لا يرضيه الا زوالها وقال محمود الوراق

اعطيت كل الناس من نفسي الرضا الا الحسود فانه اعياني
ما ان لي ذنبا اليه علمته الا تظاهر نعمة الرحمان
وابا فما يرضيه الا ذلتي وذهاب اموالي وقطع لساني

وقال في منهاج العابدين واعلم ان الحسد يهيج
خمسة اشيا احدها افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور
على ما قال وهب رحمه الله للحاسد ثلاث علامات يتملق اذا شهد
ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة **قلت** وحسبك ان الله تعالى امر
بالاستعاذة من شر الحاسد فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد كما امر
بالاستعاذة من الشيطان فانظر كم له من الشر والفتنة حتى انزله منزلة
الشيطان والساحر حتى امر بالاستعاذة عليه ونستعيذ بالله رب العالمين
والثالث التعب والهم من غير فايدة بل مع كل وزر ومعصية كما قال
ابن السماك لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دايم وهم لازم
وعقل هايم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من احكام

ابنه ولقد قال سعيد عليك بطول الصمت تكن ذا الورع ولا تكن حريصا على الدنيا
تكن حافظا لغيرك ولا تكن طعانا تنح من السوء الى الناس ولا تكن حاسدا تكن
سريع الغم والحاسد الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر ولا ينصر على عدو
كما قال حاتم الطعان غير ذي دين والغايب غير عائب والنمام غير مأمون
والحاسد غير منصور **قلت** المحسود كيف يظفر بمراده ومراده هو الاثم
الله تعالى عن عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنون
ولقد احسن ابو يعقوب فيما قال اللهم صيرنا على تمام النعم على عبادك
واحسن احوالهم فان ذا تعسد عليك الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك
وينغص راحة النفس وفهم القلب والنصرة على الاعداء والظفر بالمطلوب
واي دا ادوا منه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله ولي التوفيق
قال الحسد ان تريد زوال نعم الله على اخيك المسلم مما له فيه صلاح
فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهي غبطة وعلى هذا يحمل قوله
صلعم لا حسد الا في اثنين اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد
اتساعا في ذلك لتقاربهما فان لم يكن فيها صلاح فاردت زوالها فذلك غيرة
وهو جائز وهذا هو الفرق بين هذه الخصال وتكون الطريق في ذلك ان
استحسنه عليك فلا ترد زوال نعمة احد من المسلمين او بقاءها الا مقيدا
بالتفويض اذا عرفت هذا وداؤه فاحذر ذلك ولا تعترض الله في قسمه
والغل والحقد والبغضاء هي شعب من شعب الحسد ودواؤهن دواؤه في الاعلى
جانبه هو وهذه الشعب للاثام وتنبعث بغير نفع ولا سبب وتكون

١٧

كالمعترض على الرب فيما قسم ووهب فكما قال بعض العرب

ألا قل لمن كان لي حاسدا ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله ... لأنك لم ترض لي ما وهب
نحظى به الربان لي وحظك ... منه العنا والتعب

وكما انك تطهر ثيابك من القذرات والقاذورات وجسدك من الشعور
الزوائد المنتنات والاوساخ والعفونات فازل هذه العيوب
ونحوها من القلب الذي هو موضع نظر الرب وكان يتظاهر للخلق
فزين باطنك للحق وخصه من هذه القبايح التي هي انجس من اوساخ الناس
واصرف الحال والمال لتصلح دينك وتستقيم لسانك والله القايل

ألا فاغسلوا من كل حقد قلوبكم ... عليكم فذا الحقد يجني دا
ولا تجعلوها للحقود اوانيا ... فان اناء الحقد شر انا
واياكم والكبر والحسد الذي ... يهد من الايمان كل بناء
دعوه وسوء الخلق والعجب انها ... خلائق اضداد لكم لعنا

اذا عرفت ذلك فوجب عليك ان تخلي قلبك من افكاره واخبائثه لتبلغ
ما تقلى ثوابك من فعله وبراعته لان خلولها للحق الدين ويكون
من اسباب الكلام الرد او بواغنه وقد حسن ذكر هذه النبذ من دا
القلب لوجوه منها استمال قوله صلعم البطن وما وعا ومنها تسميته الامير
والامير حقيق بالبداية باصلاحه لانه اذا استقام استقامت رعاياه
ومنها اذا خلته شي من الاثام كان سببا في انواع الكلام من الغيبة والنميمة

الخصام والسلام والله المستعان وهذا حين الابتداء بذكر بعض آفات
اللسان والاعانة بالله وعليه التكلان **فصل في اللسان**
هو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم املك عليك اللسان كما ورد عن سعيد الخدري
وعنه وبه يعتد او يصلح سائر الاركان قال رجل للنبي صلعم يا رسول الله
ما أخوف ما تخاف علي فاخذ عليه السلام بلسان نفسه ثم قال هذا **واعلم**
ان عيوب اللسان كثيرة وجرمه صغير وجرمه كبير وذنبه عظيم
والصبر عن شهوات الكلام عسير اعاذنا الله والسامعين
من شهوات الكلام قال يونس بن ابي عبيد وجدت نفسي تحمل مؤنة
الصوم في الحر الشديد في البصرة ولا تحمل ترك كلمة تعنيها ولقد صدق
في ما قال وابدى فان اللسان اشد الاعضاء جماحا وطغيانا واكثرها فسادا
وعدوانا فاستظهر بكل قوتك عليه ووجه جل عنايتك اليه فانه
كلب عقور واشد على دينك ودنياك هجوما فاستعن عليه بالله وبجهد
الجهيد وتذكر ما ورد في الكلام من الوعيد والوعد قال تعالى لا خير في
كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد قال بعض العلماء انما خص اللفظ
لان اكثر الخطايا بالقلب واللسان واما الاخبار والاثار والاشعار فكان
من ذلك بما يبهر وينهر قال ابو موسى الاشعري قلت يا رسول الله
اي المسلمين افضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده رواه البخاري ومسلم

والترمذي والنسائي وعن عبد الله بن عمرو عنه صلوات الله وسلامه
عليه انه قال المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما
نهى الله عنه رواه البخاري ومسلم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك
على خطيئتك وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم طوبى لمن
ملك لسانه ووسعه بيته وبكا على خطيئته وعن سهل بن سعد رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلعم من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له
على الله بالجنة رواه البخاري والترمذي وقال صلعم احب الاعمال الى الله
حفظ اللسان وروي عنه صلعم من حفظ لسانه ستر الله عورته وعنه
صلعم لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال والذي لا اله غيره ما على الارض شيء احوج الى
طول سجن من لسان وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلعم من حفظ ما بين
فقميه وفرجه دخل الجنة وقال صلعم طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من
ماله وامسك الفضل من قوله رواه الطبراني وعن الحرث بن هشام انه
قال لرسول الله صلعم اخبرني بامر اعتصم به فقال صلعم املك هذا واشار
الى لسانه وعن ابي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله اوصني قال اوصيك
بتقوى الله فانها زينة لامرك كله قلت يا رسول الله زدني قال عليك
بتلاوة القران وذكر الله عز وجل فانه ذكر لك في السما ونور لك في
الارض قلت زدني قال عليك بطول الصمت فانه مطردة للشيطان وعون

لذلك من يزد شيئا قلت يا رسول الله زدني قال اياك وكثرة الضحك فانه يميت
القلب ويذهب بنور الوجه قلت زدني قال قل الحق وان كان مرا قلت زدني
قال لا تخف في الله لومة لائم قلت زدني قال ليحجزك عن الناس ما تعلمه من نفسك
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله
كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك بك من هذا
كله قال هذا واشار الى لسانه وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال قلت
يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول
الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه ثم قال هذا رواه الترمذي
ومعنى قوله استقم يعني ثبات على الايمان بما امر الله به واجتناب ما نهى عنه قال الشبلي
الاستقامة ان تشهد الوقت قيامة وقال صلعم يا ابا ذر الا ادلك بامرين
خفيفين مؤونتهما عظيم اجرهما لم يلق الله بمثلهما الصمت وحسن الخلق

فصل في بعض فضايل حسن الخلق

وحقيقته ومعناه ما فسره النبي صلعم
حديثا بلا نقص قال الحسن هو بذل المعروف وكف الاذى وطلاقة الوجه
وقيل علامته كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم حسن الخلق ان لا تخاصم
ولا تخاصم من شدة المعرفة بالله وقال اخرون ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم
غريبا وقال غيره هو الرضا بالخلق في السراء والضراء وعن علي انه قال الحسن الخلق
في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقيل لا يوثر
فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقيل ادنى الدين حسن الخلق
ان تكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة وقال

وقال الغزالي حقيقة حسن الخلق هي هيئة راسخة في النفس تصدر عنها
الافعال الجميلة بسهولة والخلق والخلق عبارتان يراد بالخلق الصورة
الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك
بالبصر ومن روح ونفس يدرك بالبصيرة لا بالبصر ولكل واحد منهما هيئة
اما قبيحة واما حسنة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا ولذلك اضافها
الله تعالى الى نفسه واضاف البدن الى الطين فقال اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي الاية واما فضايله فكثيرة وادلة فضله في القران
والسنة والاجماع ظاهرة شهيرة قال الصادق رضي الله عنه حسن الخلق جمال
في الدنيا ونزهة في الاخرة وبه كمال الدين وما يكون حسن الخلق الا في صفي
وولي وما نعلم ما حقيقة حسن الخلق الا الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم خاتم رسله ان حسن الخلق وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل
وصاحبه وان ارتقى لدرجات قصيرة الى الهوان وقال رسول الله صلعم حسن
الخلق شجرة في الجنة وصاحبها متعلق بغصن منها يجذبه اليها وسوء الخلق شجرة
في النار وصاحبها متعلق بغصن منها يجذبه اليها

فصل في

كتاب ادب النفس خرج بعض الاكاسرة في بعض متصيداته فلقي شيخا كبيرا
خلف حمار له عليه حطب وهو يسوقه فقال له ما اسمك يا شيخ فقال اسمي
نبيل فقال له يا شيخ ابطأ زرعك فقال اذا افسد الناس لم ينم الزرع قال فما
صنعتك ايها الشيخ قال اكار فقال له الملك ما شر ما يبلى به المرء قال سوء
الخلق قال سوء الخلق اسوأ من البخل فقال البخيل يسع سوء الخلق فقال سوء الخلق

امتزجن كل شي فقال فما تقول في الجهل قال يسمح سوء الخلق فقال كسرى لبعض
علمائه سلوه عما سألته فقال بعضهم عما سألك الملك وما ذا الجبنة قال
السمح سألني عن ابطار زعي اي لو كان في الكلفاني فعلت ولد وليس يسحب
قال فما علمك ان سوء الخلق يجلب المعايب قال سوف ابين لك ذلك قال
وما ذاك قال يأمر مناديا ينادي في البلد لا يدخل احد من الناس على الملك الا
ومعه جرة من جرار ليعرف صدق قولي فامر كسرى مناديا ينادي في
البلد بذلك فاقبل الناس يشترون من غير مكاس وجعل ثمن كل جرة درهما
ومن ماكسه اضعف عليه الثمن حتى بعث بعض مرازبته غلاما يشتري
له جرة فماكسه فيها فاضعف عليه الثمن ثم ماكسه حتى بلغ دينارا فرجع
الغلام الى مولاه فاعلمه بذلك فركب بنفسه الى الكواز وغلامه بين يديه
فقال له اتبيع الناس جرة بدرهم وتبيعني بدينار فقال لا افعل الا
بدينارين فما زال الكلام بينهما حتى بلغ مائة وعشرين دينارا فاشترى
منه كل من يريد الشراء من غير مكاس والرجل يتربص يريد النقصان
فلما تغالى الثمن رجع اليه فقال سومك الاول فقال الكواز لا افعل
الا بما ازيد فقال لا اشتري منك شيا البتة وانصرف من عنده واتاه من
يستدعيه الى سيده الملك فرجع الى الكواز [illegible] خذ سومك الاول
فقال لا افعل حتى تحمل جرتي بعنقك وتحملني على ظهرك الى الملك فنظر
المرزبان فلم يجد بدا منه فتوسط الناس على ركوبه عند دخوله على
الملك عياما ومشيا الى باب الملك فلما دخلا الدهليز علق الجرة بين على

ظهره وركب الحمار على رقبته ودخلا على الملك فقال الحمار للملك اياك [illegible]
سوء الخلق بالثمن الغالي والحمل الثقيل ثم قص عليه قصته فقال بعضهم في ذلك

مثل قيل منذ دهر طويل * سوء خلق اباه حمل ثقيل
سوء خلق الفتى وبال عليه * ويسود الفتى بخلق جميل

وقال اخر * خالق الناس بخلق حسن * لا تكن كلبا على الناس يهر
خذ من الحوار عفوا ما صفا * ودع المكروه منهم والكدر

وقال اخر * وكم من فتى ازرى به سوء خلقه * ولن يعدم المعصار كان رعابنا
ويسرع بخل المرء في هتك عرضه * ولم ار مثل الجود للعرض حارسا

وقال اخر * لما عفوت ولم احقد على احد * ارحت نفسي من هم العداوات
اني احيي عدوي عند رؤيته * لادفع الشر عني بالتحيات
واظهر البشر للانسان ابغضه * كانه قد ملا قلبي مسرات

وقال اخر * لي صاحب من سوء اخلاقه * خاصم الخالق في خلقه
لم يرق المرزوق من فضله * وخيب الخائب من رزقه
والله ذو الحكمة في الخلق في خلقه * وقصد والاحمق في حمقه

انتهى * ولنرجع الى اللسان

فصل

وعن ابي سعيد الخدري
رفعه قال اذا اصبح ابن ادم فان الاعضا كلها تكفر اللسان
فتقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا قال العراقي معناه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر في
اعضا الانسان بالتوفيق والخذلان ويؤيده ما روي عن مالك بن دينار

انه قال اذا رايت قساوة في قلبك وحرمانا في رزقك ووهنا في بدنك فاعلم انك قد
تكلمت فيما لا يعنيك وعن ابي وائل عن عبد الله انه ارتقى الصفا فاخذ بلسانه فقال
يا لسان تكلم بخير تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم من قبل ان
تندم ثم قال سمعت رسول الله صلعم يقول اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وعن ابن عمر
رضي الله عنهما ان رسول الله صلعم قال من صمت نجا وعن انس من سره ان يسلم فليلزم
الصمت وعن ام حبيبة زوج النبي صلعم عن النبي صلعم انه قال كلام ابن ادم كله عليه
لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وعنه صلعم ان الله كره لكم قيل وقال
وكثرة السؤال وعنه صلعم اكثر الناس ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه وعن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه رواه
هذا عن علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو واضح وعن انس انه توفي رجل فقال
رجل اخر ورسول الله يسمع ابشر بالجنة فقال صلعم او لا تدري لعله تكلم بما لا
يعنيه او بخل بما لا ينقصه **تنبيه** والذي لا يعني هو ما ليس بواجب
ولا مندوب ولم يكن فيه منفعة مباحة قال الغزالي هو الذي لو ترك لم
يفت به ثواب ولم يحصل به ضرر وفسره في حكايات احوال الناس في مغاشهم وعاداتهم
في المطاعم والولائم والسؤال عن احوال الناس بلا حاجة وحكاية ما لقيته
اسفارك من الانهار والاشجار والاحجار ونحو ذلك مما لا تدعو اليه حاجة
او ضرورة **فرع** في صحف ابراهيم عليه السلام وعلى العاقل ان يكون بصيرا
بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه
الا فيما يعنيه وروي عن النبي سليمان بن داود صلعم انه قال اذا كان الكلام من فضة

فالصمت من ذهب وعن مالك بلغه ان عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول لا تكثروا الكلام
بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ولا
تنظروا في ذنوب الناس كانكم ارباب وانظروا في ذنوبكم كانكم عبيد فانما الناس
مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية وقال لقمان الحكيم
الصمت حكم وقليل فاعله وروي عن النبي عيسى ايضا صلعم انه قيل له دلنا على عمل
ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا
بخير

باب في شيء من الاثار ورد

في الزجر عن الكلام والاكثار وذلك بسبب خطره لان الصمت عظيم قد لزم عبد
الله وعبد الانبياء والعلماء والحكماء في كل ملة وكل عصر ودهر فيا في من ذلك
شيء يسير من كثير قال مولانا علي كرم الله وجهه من كثر كلامه كثر خطاؤه
ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات
قلبه ومن مات قلبه دخل النار ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها
لنفسه فذلك الاحمق بعينه وعنه كرم الله وجهه اذا تم العقل نقص الكلام
وعن بعضهم اذا قلت العقول كثر الفضول وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه
كان يجذ لسانه فقال له عمر رضي الله عنه مه غفر الله لك فقال له ابو بكر ان هذا
اوردني الموارد وليس شيء على جسده الا يشكو ذرب اللسان **اقول** انما وصف
رضي الله عنه فانه يجلب للعاصي في الدنيا العتاب والاتعاب وفي الاخرة العقاب
والعذاب الا من زم لسانه وتاب ورب عظيم كبر سمعه الكلام الكثير
ورب عضو من انسان قطع بسبب كلام من لسان فقطع ورب طرف كسرت

يتسلك كالسم المتنوعه وكم من اجل ما سن اهلها وابدى
رغم انف ونهار بسبب الفاظ من رجل مهذار وكم حروف حرب ومقاتل

وانسبا بسبب هذا اللسان ورب مقال يورث بالدم ويورث الضيم والندم
حتى عليه مقوله حين تكلم وكم دار خرب بسبب اللسان الذرب بل وكم من دس
حائط بدن للسان الخابط وكم من هالك غالب بجناية لسانه الخاطب ورب
منتج الراس من اجل بذاته على الناس وفي منثور الحكم اللسان سبع ان اطلق
... ومن حبث والكلام سهم نافذ ما عملك رده طول السكوت يولد
السلامه وطول الكلام يولد الندامه فلا تقل ما تزل قدمك وتطيل ندمك

نغم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خمس احسن من الدهم الموقفه
لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا امن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك
حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه
فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يغلبك وان السفيه يؤذيك واذكر
اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه عما تحب ان يعفيك منه واعمل
عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام **قال في كتاب**
ادب المفتي وفي وصيه زيد بن علي رضي الله عنهما يا بني كف الاذى واستعن
على السلامه بطول الصمت في كل المواطن التي تخشى فيها الكلام فالصمت حسن
في كل حال وللقول ساعات يضر فيها خطاؤه ولا ينفع فيها صوابه وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عنه قال اما اتكلم في عصى لا ابالي ادم عليه
في رضاي وابي لا انام اليومه فاعيتها مخافه ان اتكلم بكلام يكون على
انتهاء ولابي العتاهيه فدلح الساكت الصموت كلام واعي الكلام قوت
عجبت من جاهل فخوري مستبعين انه يموت

ما كل نطق له جواب جواب ما يكره السكوت
ومن كلام سهل بن عبد الله القشيري رضي الله عنه ما اشتغل عبد بحال
غيره الا ضيع حال نفسه ومن دخل فيما لا يعنيه ضيع كثيرا مما يعنيه وعن
من عرف الدنيا تركها ومن عرف الاخره طلبها **تنبيه** معلق على تقدم
وما سياتي ويحتمي لما عسا به والعلم له والعمل به ملخص من كلام الماوردي
بزمان وسبديل ونقدم وما حبر اعلم ان للكلام شروطا لا حسنه الا سلم المتكلم
من الزلل الا بها ولا تعرى من النقص الا ان يستوعبها الشرط الاول منها
ان يكون الكلام لداع يدعوا اليه اما في اجتلاب نفع او دفع مضره الثاني
ان ياتي به في موضعه ويتوخى به اصابه فرصته الثالث ان يتكلم بما يتكلم
به برويه وفكره وتامل وتثبت الرابع ان يقتصر منه على قدر حاجته وافا
مه حجته الخامس ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به فهذه الشروط متى اخل المتكلم
بشرط منها فقد اوهى فضله باقيها وسنذكر من تعليل كل شرط منها
ما ينبي عن لزومه فاما الشرط الاول وهو الداعي الى الكلام فهذا هو الشرط
المقدم الذي يتوجه ان يوليه كل من تكلم وهو الركن الاعظم فلان ما لا داعي
له هذيان وما لا سبب له هجر ومن سامح نفسه في الكلام اذا عن له ولم يراع
صحه داعيه واصابه معانيه كان قوله مرذولا وراايه معلولا كالذي حكي
عن ابن عباس ان شابا كان يجالس الاحنف بن قيس فقال له الاحنف تكلم يا ابن اخي
فقال يا عم ارايت لو ان رجلا سقط من شرافه هذا المسجد اكان يضره شي فقال
يا ابن اخي ليتنا تركناك مستورا ثم تمثل الاحنف بقول الاعور الشني

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته او نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقال الاحنف فيه او في غيره ممن كان يطيل الصمت ثم نطق يؤدي القول
ذملا اخاجه اليه سكت الفا ونطق خلفا **قلت** وفي اعتبار هذا الشرط
من الزجر له ما لا مزيد عليه لان خلافه مما لا يعني وقد تقدم ما ورد في
الكلام بما لا يعني وانه فضول وقد تقدم وسيأتي ما في الفضول من الخطر
والضرر وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله امرأ انفق الفضل
من ماله وامسك الفضل من قوله وغير ذلك وفي منثور الحكم اربعة ايجعلوا
منها جاهل قول بلا معنى وفعل بلا جدوى وخصومة بلا طائل ومناظرة بلا
حاصل واما الشرط الثاني فلان الكلام اذا صدر عن غير روية وفكر القائل
ولم يقع موقع الصواب وقد قال مولانا علي كرم الله وجهه لسان العاقل
وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه المراد ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد
مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق يسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه
مراجعة فكره فلا يفكر فيما يقول فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكان قلب الاحمق
تابع للسانه وروى هذا المعنى بلفظ اخر وهو قوله كرم الله وجهه
قلب الاحمق لسانه في فيه ولسان العاقل في قلبه ومعناهما واحد يعني ان الاحمق
لا يفكر فيما يقول وقال بعض الائمة يا بني لا تقل بغير تفكر ولا تعمل
بغير تدبر ومن هذا القبيل ما حكي عن ابي يوسف الفقيه ان رجلا كان يجلس
اليه فيطيل الصمت فقال له ابو يوسف الا تسأل فقال بلى متى يفطر الصائم

قال اذا غربت الشمس قال فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل قال فتبسم ابو يوسف
وتمثل ببيتي الخطفي جد جرير

عجبت لازراء العيي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالعلم اعلما

وفي الصمت ستر للعيي وانما ... صحيفة لب المرء ان يتكلما

فانظر الى هذين المذكورين في الشرطين كيف ابان الكلام عن جهلهما اذ لم
يكن للاول داع الى ما تكلم به ولا للثاني روية فيما نطق به ولو صدر عن
داع دعا اليه وروية نطقا بها من سجيته لبرئا من عيبه وكان بعض العلماء يكثر
الحصة في الكلام ويقول اذا جالست الجهال فانصت لهم واذا جالست العلماء
فانصت لهم فان انصاتك عن الجهال زيادة في الحلم وفي انصاتك للعلماء زيادة
في العلم ولله الشافعي حيث يقول

قالوا اراك كثير الصمت قلت لهم ... ما طول صمتي من عي ولا خرس

الستر احرى بمن ليس يعرفه ... ام انثر الدر للعميان في الغلس

واما الشرط الثالث وهو ان ياتي بالكلام في موضعه فلان الكلام
في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به وما لا ينتفع به من الكلام فقد تقدم
انه هذيان وهجر فان قدم ما يقتضي التأخير كان عجلة وخرقا وان
اخر ما يقتضي التقديم كان توانيا وعجزا لان لكل مقام قولا وفي كل وقت
فعلا وقد قال الشاعر

يضع الحديث على مواضعه ... وكلاهما من بعد نزر

واما الشرط الرابع وهو ان يقتصر منه على قدر حاجته فلان الكلام

اذا لم يختصر بالحاجة ولم يتقدر بالكفاية لم يكن لحده غاية ولا لقدره نهاية
وما لم يكن من الكلام محصورا كان اما حصرا ان قصر او هذرا ان كثر روي
ان اعرابيا تكلم عند رسول الله صلعم وطول فقال النبي صلعم كم دون لسانك
من حجاب فقال شفتاي واسناني قال فان الله عز وجل يكره الاسهاب
في الكلام فنضر الله امرءا اوجز في كلامه واقتصر على حاجته وحكي ان بعض
البلغا راى رجلا يكثر الكلام ويقل السكوت فقال ان الله تعالى انما خلق لك
اذنين ولسانا واحدا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به وقال بعض الحكما
اياك وما يسخط به سلطانك او يوحش به اخوانك فمن اسخط سلطانه تعرض للمنية
ومن اوحش اخوانه تبرا من الحرية وقال بعض الشعرا

وزن الكلام اذا نطقت فانما يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

ولمخالفة قدر الحاجة من الكلام حالتان تقصير يكون حصرا وتكثير يكون
هذرا وكلاهما شين وشين الهذر اشنع وربما كان في الغالب اخوف وقال
بعض البلغا مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض الشعرا

رايت اللسان على اهله اذا ساسه الجهل ليثا مغيرا

وقال اخر

يا رب السنة كالسيوف تقطع اعناق اصحابها
وما تعرض من سباب الرجال تردي بها والبابها

وقد ذهب بعضهم الى ان الكلام اذا اكثر على قدر الحاجة وزاد على
الكفاية وكان صوابا لا تشوبه خطل وسليما لا يعتوره زلل فهو السحر

والسحر الحلال قال سليمان بن عبد الملك وقد ذم الكلام في مجلسه كلا ان من
تكلم فاحسن قدر على ان يسكت فيحسن وليس كل من سكت فاحسن قدر
على ان يتكلم فيحسن ووصف بعضهم الكاتب فقال هو ان يحذف سير الكلام وان
يحد طوما املاه وانشد بعضهم في خطبا اياد

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا اقللت من الكلام اكثرت من
الصواب فقال يا ابه فان انا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا
قال يا بني ما رايت موعوظا احق بان يكون واعظا منك ووصل اياس
بن معوية فقيل ما فيك عيب الا كثرة الكلام قال افتسمعون خطا او صوابا
قالوا لا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير قال ابو عثمن الجاحظ
وليس كما قال للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار
الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وصدق
ابو عثمان لان الاكثار منه وان كان صوابا يسئم السامع ويكل الخاطر
فهو صادر عن مجانب لو وعاه لاقصر عنه ومن اعجب بكلامه استرسل
فيه والمسترسل في كلامه كثير الزلل دايم العثار وقال بعض الحكما
من اعجب بقوله اصيب بعقله وليس لمكثر الهذر رجا نفع بل خوفه ولا يقع
بما نال صوابه لانه يخاف من نفسه الزلل ومن سامعه السامه والملل
وليس في مقابلة ذلك حاجة داعية ولا نفع مرجو وقد روي عن النبي
صلعم انه قال ابغضكم الى المتفيهقون الثرثارون والمخط المهذار فصل وسال

لرجل حكيم متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا
اشتهيت الكلام وقال جعفر بن يحيى اذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار
عيا واذا كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا وقيل في منثور الحكم اذا
تم العقل نقص الكلام وقال بعض الحكما احسن الكلام ما لا يحتاج فيه
الى الكلام وقال بعض الادبا من طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه
ومن الوحشة ما لا يضره وقال بعض البلغا عي تسلم فيه خير من نطق
تندم عليه فاقتصر من الكلام على ما تقيم به حجتك وتبلغ به حاجتك واياك
وفضوله فانه يزل القدم ويورث الندم واحسن الكلام ما قل فضوله
وثلث فصوله امارانه التمام ~~وعرفه الخاص والعام~~ وقال بعض الشعرا

اذا كنت من ان تحسن الصمت عاجزا ... فانت عن الابلاغ في القول اعجز

انتها هذا في كلام صواب واما الاكثار فخطل وحسبك ما قاله من قال ما اقله
وما اكثر صرعه واضعف نفعه وافله وفي منثور الحكم اجهل الناس من
قل صوابه وكثر اعجابه واما الشرط الخامس وهو اختيار اللفظ الذي
يتكلم به فلان اللسان عنوان الانسان يترجم عن مجهوله ويبرهن عن
محصوله فلزمه ان يكون بتهذيب الفاظه حريا وبتقويم لسانه مليا
روي عن النبي صلعم انه قال للعباس يعجبني جمالك قال وما جمال
الرجل قال لسانه وقال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا
كان الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة وقال بعض الحكما اللسان وزن الانسان
وقال بعض الادبا كلام المرء وافد ادبه وقال بعض الشعرا

واعلم علما ليس بالظن انه ... اذا ذل مولى المرء فهو ذليل
فان لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل

وليس يصح اختيار الكلام الا لمن اخذ نفسه بالبلاغة وكلفها لزوم الفصاحة
حتى يصير عند اربابها معتادا لها وفاليا للكلام مستكرها للفظ
تحميل المعاني لان البلاغة ليست على معاني مفردة ولا لالفاظ عارية وانما
البلاغة ان تكون المعاني الصحيحة مستودعة في الفاظ فصيحة فتكون
فصاحة الالفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة وقد قيل لليوناني ما
البلاغة فقال اختيار الكلام وتصحيح الاقسام وقيل للرومي فقال
حسن الاقتضاب عند البديهة والغزارة يوم الاطالة وقيل للهندي
فقال معرفة الفصل من الوصل وقيل للعربي فقال ما دون السحر
وفوق الشعر يفت الخردل ويحط الجندل وقال ابن المقفع البلاغة
قلة الحصر والجراة على البشر وسال الحجاج ابن القبعثري عن الايجاز
فقال ان تقول فلا تبطي وان تصيب فلا تخطي فاما صحة المعاني فتكون
من ثلثة اوجه احدها ايضاح تفسيرها حتى لا تكون مشكلة ولا مجملة
والثاني استيفا تقسيمها حتى لا يدخل فيها ما ليس منها ولا
يخرج عنها ما هو منها والثالث صحة مقابلاتها

وفي منثور الحكم ابلغ الكلام ما زانه التمام وعرفه الخاص والعام ابلغ

الكلام ما صح مبانيه ووضح معانيه احسن الكلام ما اعرب عن الضمير
واستغنى عن التفسير ابلغ الكلام ما يدلك اوله على اخره ويعرف باطنه
بظاهره ابلغ الكلام ما قل مجازه وحسن ايجازه **فرع** وعند بعضهم
تكلف النحو عند غير اهله في غير التلاوة ونحوها مما ينبغي اجتنابه
وقيل النحو عند العامة كاللحن عند الخاصة فكما ينبغي التحرز عن اللحن
عند اهل اللسان يحترز من النحو الذي يستثقله الطباع عند السماع
وانشدوا لمكثر على النحو يحو به لمسلم في قوله من خطل

يقومها النحو في اللسان فهلا تقوم ربع الغمر ساعه بالنحو عجائبه
ننابه بالنحو عجبا انه فما اذيرا الناس الا حول
لمن كان يعرب في قوله لقد صار باللحن في ما فعل

وقال اخر

تحسن النحو في الرواية والشعر واعراب سورة او كتاب
فاذا ما تجاوز النحو هذا فهو شيء على المسامع نابي

اسها الكلام في شروط الكلام **فائدة** وعن ابي سلمه ان امراه
دخلت على عائشة ومعها نسوة فقالت امراه منهن والله لا ادخل
الجنة فقد اسلمت وما سرقت وما زنيت فاتيت في المنام فقيل لها انت المالية
لا تدخلي الجنة وانت تحدثين بما لا يعنيك وتتكلمين فيما لا يعنيك فلما اصبحت
دخلت على عائشة فاخبرتها بما رات وقالت اجمعي النسوة اللاتي كن
عندك حين قلت ما قلت فارسلت اليهن عائشة فجئن فحدثتهن المراه

بما رات المراه في المنام رواه البيهقي **فصل في الاثار**
في الترهيب من الكلام والترغيب في الصمت قال مولانا علي كرم الله وجهه
الصمت زين وقليل فاعله وعنه الصمت زين للعالم وستر للجاهل والكلام
كالدواء ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه قتل وعنه كرم الله وجهه
بطول اللسان يهلك الانسان وفي مصباح الحقيقة للامام جعفر بن محمد الصادق
رضي الله عنهما الصمت مفتاح كل توبة وراحة في الدنيا والاخرة وفيه رضا
الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل ومنعه عن الهواء
ورياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة
والظرف فاغلق باب لسانك على كل منه بد سيما اذا لم تجد اهلا للكلام
والمساعد والمذاكر لله وفي الله وكان الربيع بن خثيم رضي الله عنه
يضع قرطاسا بين يديه ويكتب ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه في عشيته
ماله وما عليه ويقول اوه نجا الصامتون وبقينا وكان بعض اصحاب رسول
الله صلعم يضع حصاة في فيه فاذا اراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي
الله ولوجهه اخرجها وكان الصحابة رضي الله عنهم يتنفسون تنفس
الغرقا ويتكلمون تشبه المرضا وانما سبب هلاك الخلق وعامتهم الكلام
والصمت وطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه والصمت وفوائده
فان ذلك من شعار الانبياء والحلاق لباس الاصفياء ومن عرف قدر الكلام احسن
صحبة الصمت ومن اشرف على ما في لطائف الصمت وائتمنه على خزائنه
كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه الا الملك الجبار

انتهى كلام الصادق رضي الله عنه وروي ان الامام ابرهيم بن عبد الله بن الحسن
رضي الله عنهم اجمعين قال في خطبة خطبها ايها الناس اني وجدت جميع ما يطلب
العباد من حسنتهم الخير عند الله في ثلاث في النطق والنظر والسكوت فكل
منطق ليس فيه ذكر فهو لغو وكل سكوت ليس فيه فكر فهو سهو وكل
نظر ليس فيه اعتبار فهو غفلة فطوبى لمن كان منطقه ذكرا ونظره اعتبارا
وسكوته فكرا ووسعه بيته وبكى على خطيئته وسلم المسلمون منه وكانه
ماخوذ مما روي عن النبي عيسى صلوات الله عليه انه قال المنطق والنظر
والصمت فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار
فقد سها ومن كان صمته في غير فكرة فقد لها قال بعض العلما اللغو ما
يوجب للحلم والمروة الغاية فلا يدخل فيه حلم راجح عقل وعن
بعضهم من اطلق عنان لسانه فقد تعرض لهوانه وتعال المكان مهدان
وهو كحاطب الليل ومن اشكل لسانه من الفضل امن حسرانه يوم الفصل
وروي ان ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه قال صحبت اكثر رجال الله في جبل
لبنان وكانوا يوصوني اذا رجعت الى ابنا الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الكلام
لا يكل يجد لذة العبادة ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضا الناس
فلا ينتظر رضا الرب ومن يكثر الفضول والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين
الاسلام وقال بعضهم احذر اربعة الكلام الكثير والنوم الكثير والاكل
الكثير والجماع الكثير وفي منثور الحكم من كثر كلامه كثرت اثامه وزالت
هيبته وطالت غيبته الحصر خير من الهذر من يسلم فيه خير من نطق

يندم عليه وقال بعض الحكما الزم الصمت يعدك حكيما جاهلا كنت ام عليما
~~وعنه صلى الله عليه وسلم لولا تمريج في قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما اسمع~~ وقال بعض
الصالحين اسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة من كان كلامه لا يوافق
فعله فانما يهلك نفسه

فصل قال في منهاج العابدين

ومما يعين على ترك الفضول ان يذكر خمسة اصول الاول ان في الصمت حفظ
اوقاتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله وما والاه اقل احواله
ان يكون لغوا فيضيع الوقت وذكر ان حسان ابن ابي سنان مر على غرفة
فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال يا نفس الغرور تسالين
عما لا يعنيك لاعاقبنها بصيام سنة قال العراقي عقب هذه الحكاية
ما طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح الغافلين الذين خلعوا العذار
وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القايل واحسن بقوله

اغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت فارغا مستريحا
واذا ما هممت باللغو بالباطل فاجعل مكانه تسبيحا
فاغتنام السكوت اولى من النطق وان كنت في المقال فصيحا

الاصل الثاني مما يعين على الصمت ان فيه حفظ الاعمال الصالحة فان من
لم يصن لسانه وكثر كلامه يقع لا محالة في الغيبة ونحوها من السيئات
المحبطات للاعمال كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة
المهلكة للطاعات علما قيل مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا
فهو يرمي به حسناته شرقا وغربا ويمينا وشمالا قلت وسياتي ان السلف

للغيبة وفصول الاصل الثالث في الصمت السلامة من افات الدنيا علما

قال سفيان لا تتكلم بلسانك بما تكسر به اسنانك وقال اخر لا تبسط لسانك

فيفسد عليك شانك وانشدوا احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق

ولابن المبارك احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء في قتله

وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله

ولابن مطيع لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عليه له اغار

فصنه عن الخنا بلجام صمت يكن لك من بليات ستار

وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني وقال اخر من غير المنهاج

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمي براسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وفي كتاب ادب النفس قال ما تقدم من قبل من غير المنهاج سمعتم

قال مسلمة بن محارب الخرس خير من الكلام لان اباه احسن لانه كان مع

مسلمة بن عبد الملك لما قتل المهلب واتي بالاسارى اليه فجعل يعفو عنهم

ويطلقهم واذا امره بادي في اخر الناس اصلح الله الامير انا مولاك فقال

امولاك من المهلب يا حرسي اضرب عنقه فما قتل من الاسارى احد سواه

فعرف مسلمة نصيبه فقال في ذلك الصمت اجمل بالفتى من منطق في غير حينه

قال وحمل بعض العلماء الى الحجاج بن يوسف في شيء بلغه عنه فكلمه فاحكم الحجاج

في الجواب فخلا عنه فلما ولى عثر في البساط فقال تعسا للحجاج فسمعه

الحجاج فقال ردوه يا حرسي اضرب عنقه فقال سالم بن عمرو في ذلك شعرا

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمي براسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وقال نصر بن احمد

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهل وكل امرء ما بين فكيه مقتل

اذا ما لسان المرء اكثر هذره فذاك لسان بالبلاء موكل

وكم فاتح ابواب شر لنفسه اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

كذا من رمى يوما شرار لفظة تلقته نارا بالحرارة تشعل

ومن لم يقيد لفظه متجملا تحمل جهلا كلما ليس يحمل

ومن لم يكن فيه تقا وعفافة فمن وجهه ماء المهابة ينقل

اعلمكم ما علمتني تجاربي وقد قال قبلي قائل متمثل

اذا قلت قولا كنت رهن جوابه فحاذر جواب السوء ان كنت تعقل

وان شئت ان تحيى عزيزا مكرما فدبر وميز ما تقول وتفعل

وقال نهشل

ان كان يعجبك السكوت فانه قد كان يعجب قبلك الاخيارا

ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

ان السكوت سلامة ولربما جر الكلام عداوة وضرارا

وقال هلال بن العلا

احفظ لسانك واستعذ من شره ان اللسان هو العدو الكاشح

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس وزنا يلوح لك الصواب اللائح

في الصمت من سعد السعود بمطلع يرى العنا والنطق سعد الذابح

وقال نصر بن احمد

وضرب العصا ما لم يكن ساعة وضرب الكلام طويل الالم

وقال عبد الله بن المعتز

وجرح السيف يدمل ثم يبرا وشر الجرح ما جرح اللسان

وقال اخر

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شي سواه بخازن

انتهى ورجعنا الى كلام المنهاج قال الاصل الرابع ذكر افات الاخرة وعواقبها واذكر فيه ذكره واجب وهو انه لا يخلو اما ان يقول قولا محظورا فيه عذاب الله تعالى والذي لا طاقة لك به واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه وما فايدة وحق العبد ان يستحي منهما ولا يوذيهما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الثاني ارسال كتاب الى الله من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله تعالى وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا انما تملي كتابا الى ربك فانظر ما ذا تملي والثالث قرايته يوم القيمة بين يدي الملك الجبار على روس الاشهاد بين الشدايد والاهوال عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لما ذا قلت واستطاع الحجة والحيا من رب العالمين وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول ولقد روينا عنه صلعم ما من كلمة وان صغرت الا وينشر لها ثلاثة

دواوين الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم قلتها اي كان عليك ان تقولها ام لا ومعنى كيف قلتها بعلم او بجهل ومعنى لمن قلتها اي لمن قصدك وهواك ام للمخلوق ميلك ام لله فان لله لا يضيع اجر المحسنين انتهى كلام المنهاج وروي ان اكثم بن صيفي قال وجدت في ابن ادم ثمانية الاف عيب ولها دوا واحد وهو حفظ اللسان وقال بعضهم في الصمت سبعة الاف خصلة محمودة بمد ثم اختصر منها سبعون ثم اختصرها الى سبع او تسع منها انه زينة بغير حلي وهيبة من غير سلطان وعز بغير عشيرة وراحة للكرام الكاتبين وما يحوجك الى الاعتذار وعبادة بغير عنا وان حصل من هذه الكافية شيا فيه دا فيه في الزجر عن اطلاق اللسان والله المستعان على كل شان اذا عرفت هذا هكذا علمت ان الصمت الا عن واجب او مندوب يجمع لك خيرا الدارين ويوقع قدرك على كل قلب وعين فتمسك به يكفك الله وايرك الهذر ولا تكن ثرثارا ولا صيحا متفيهقا مكثارا فاطلق لسانك بما يغنيك وما يعنيك فاذا اكثرت كذلك حلك فعولك المصايب والمعايب وفي مسورة الحكم رب حرف ادى الى حتف وكلمة اتت على نعمة احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك ويتلف نفسك ولله القايل

رايت الكلام يزين الفتى والصمت خير لمن قد صمت

فكم من حروف تجر الحتوف ومن ناطق ود ان لو سكت

ومن حكم مولانا علي كرم الله وجهه الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة

قيل وتكلم اربعة من الملوك بكلام مختلف الالفاظ متفق المعنى قال كسرى
انى على رد ما لم اقل اقدر ولا اقدر على رد ما قلت وقال ملك الصين عاقبة
ما قد جرى اشد ندامة من الندم على ترك القول وقال ملك الهند اذا تكلمت
بالكلمة ملكتني ولم املكها وقال قيصر لا اندم على ما لم اقل وقد اندم على ما قلت
قلت ومن شعر عدي بن حاتم ۞ كثير الكلام اوضع شي لمقادير الرجال
وامض الاشيا عندي رد السؤال بغير نوال ۞ وقال بعض العلماء رب
قول اوردك مورد الفناء او وردك مورد القذاء فاجعل اشتغال لسانك
في الذي يعود عليك ومهما تركت لسانك مطلق العنان اوقعك في الكذب
والذنوب والحرب والحروب وغيرك وازرا بك وخذلك وعقرك وصغرك وحقرك وربما
اهلكك وغورك ولا يغفل عنه ويجهله بصرك وبصيرتك فانه اذا انسته
للجهل ليث عقور واسد على دينك ودنياك هصور فاحذر يا اخي واغلق
عليه بابه قبل ان يعقرك بقبائحه وعن مولانا علي كرم الله وجهه بكثرة
الصمت تكون الهيبة فانظر كيف تصير بالصمت عالما تغني بها وتسود وتعلم
بالسنة والكتاب وتسلم من ان تسب وتغاب كما قيل

الصمت يكسب اهله ۞ صدق المودة والمحبة
والقدح يستدعي لصاحبه ۞ المذمة والمسبة
فارغب عن القول الكثير ۞ وما يكن لك فيه رغبة

وتامل ما جمع الصمت من الشفا من علل الدين والبدن في الدارين وحين قيل
ان المريض اذا اعيا الاطبا داؤه امروه بالامساك عن الكلام والطعام

ذلك مما يداويه معطل الاسقام

باب في ذكر العلوم

لبعض الحكما واما الكلام فانه اضر ما يكون على الانسان اذا اخرج في غير مصلحة
فلا خير فيه راسا الا ما اشير به رحمه الله مع مراقبته قال الله ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد فافضل الكلام ذكر الله في الاوقات المخصوصة
اذا لم يسببه ملل ولا ضجر ولا ريا ولا شغل قلب ثم الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين عند القبول من المخاطب والا
صار ذلك ضررا وادى الى العداوة والبغضا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم ان اللسان املك شي للانسان
الا وان كلام العبد كله عليه الا ذكر الله او امرا بمعروف ونهيا عن منكر
او اصلاحا بين مومنين قال له معاذ بن جبل يا رسول الله انواخذ بما
نتكلم به فقال هل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم فمن
اراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه وليحترس مما انطوا عليه
جنانه وليحسن عمله وليقصر امله واما ما عدا ذلك من الكلام فهو
مضر بالروح والبدن ضررا عظيما وهو الكذب والغيبة والنميمة
والمرا والوقيعة في الناس ظاهرا وباطنا والمشاحنة والمشاتمة
وكلام اللهو واللغو واللعب ولا خير في جميع ذلك ونحوه وربما ادى
الى الهلاك مع الاثم كما قال بعض الادبا

احفظ لسانك ايها الانسان ۞ لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ۞ كانت تهاب لقاه الاقران

وقال بعض الحكما لصاحبه وجدت في ابن ادم من
العيوب فقال هي اكثر من ان تحصى والذي احصيته منها اربعة الاف عيب
ووجدت خصلة واحدة اذا استعملها سلم من تلك العيوب كلها وهي حفظ
اللسان وكان بعض الحكما يجلس بين العلما في جميع المجالس ولا يتكلم فقيل له
في ذلك فقال اسمع فاعلم واسكت فاسلم قال بعض الادبا ينبغي
لكل عاقل ان يحفظ هذه الابيات ويدرسها دائما وهي هذه

الق المكارم بالعرا موقرا ... فلعل يوما ما ترى ما تكره
فلربما ابتسم الفتى الوقور من الاذا ... وفواده من حرة يتاوه
ولربما خزن الكلم لسانه ... حذر الجواب وانه لمفوه
ولربما صمت الفتى فسبت فيه ... العيوب وانه لمموه

ومن الكلام ادب وطب وعلم وحكمة قال تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب
معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن
السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم قال النبي صلعم
ايها الناس ان الاشيا ثلاثة امر استبان رشده فاتبعوه وامر استبان
غيه فاجتنبوه وامر اختلف عليكم فردوه الى الله تعالى احكم بامرين
خصلتين ما عظيم امرهما لم يلق الله بمثلهما الصمت وحسن الخلق
فينبغي ان يتادب الانسان مع الخالق بالموافقة باطنا وظاهرا ومع
الخلايق بحسن الخلق فقد عظم الله الخلق الحسن ومدح النبي صلعم فقال تعالى
وانك لعلى خلق عظيم وان يوفق الانسان في جميع اموره واذا اراد امرا

نظر اولا في عاقبته ولا يعجل في اموره ولا يكشف عيوب الناس ولا يلتفت الى من
وراه في طريقه ولا يقعد في مجلس من مجالسه بين جماعة ولا يتخطى احدا
احدا ولا يتقدم في مجلس ولا يضاحكه احدا واذا اقبل اليه سايل فلا
يتغافل عنه بل يستبشر به ويجله ويرد عليه احسن من تحيته ويبدا كل
واحد بالسلام في طريقه ويترك المزاح وكثرة الضحك واللهو واللغو
واذا سيل حاجة اجاب بالايجاز بالبشر فيه ثم ولا يضجر ولا يجيب قبل ان
ينظر في عاقبة الجواب ويزن كلامه قبل ان يخرج ويتواضع من غير ذل
ويتعلم ولا يتكبر ولا يملك نفسه حسن الادب ومحاسن الاخلاق ولا يزاحم
الاقران بجاهه وكثرة ماله فيهلكون ويهلكونه وليكن مجلسه هاديا واذا
اكل طعاما مع قوم لم يتقدم قبلهم وليحترز في جميع اموره ويجب النظر في
العواقب فالحادثات ليس لها خصر وكفى بالزمان خطيبا وواعظا
وطبيبا ولا يظن الانسان انه يدرك عيب نفسه من نفسه بل من غيره وهو
معيوب فلا يعيب احدا والسلامة من ذلك ان يشتغل بعيب نفسه فان فيها
ما يكفيه من عيوب غيره

ملحة قال ذو النون المصري
رضي الله عنه وصف لي رجل بالمغرب فرحلت في زيارته فقعدت على بابه
اربعين يوما ولا استطعت ان اساله عن شي من دينه يخرج الى الصلاة يصلي
ويعود ولا يكلم احدا فقلت له يوما في حيني اسالك فقال يا هذا ان لساني سبع
ان ارسلته اكلني فقلت له يرحمك الله عظني بموعظة احفظها عنك قال
وتعقل فقلت نعم ان شا الله تعالى قال لا تحب الدنيا وعد الفقر غنا والبلاء من الله نعمة

والمحن من الله عطا والوجد مع الله انسا والذل عزا والجوع قوتا
والقناعة حرثا والتوكل على الله معاشا والله لكل شي عدة ثم دخل منزله
فمكثت على بابه شهرا لا يكلمني فلما خرج قلت له يرحمك الله اني اريد
الرجوع الى بلادي واهلي فزودني بموعظة فقال اعلم ان الزاهد في الدنيا
قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه
والفقر مضجعه والخلوة مجلسه والعبرة فكرته والقران حديثه والرب
انيسه والذكر رفيقه والتقوى زاده والعلم خليله والتوكل كسبه
اشباه ذلك ويقال ان من يتكلم بما لا يعنيه احسن كلمات الاولى
فقال هل هذه كانت تعنيك الثانية فقال له هل نفعتك كما قلتها
الثالثة فقال له هل ضرتك لو لم تقلها الرابعة هلا سكت فتسلم عقابها
وعاقبتها الخامسة هلا قلت بدلها سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وروي ان ذا النون المصري اتى بعض اهل العبادة
والزهاد على ساحل البحر فساله ان يكلمه فابى فعاتبه ذا النون
المصري فكتب على الارض

منع اللسان من الكلام لانه كهف البلاء وجالب الافات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا لا تنسه واذكره في الحالات

تتمة من التصفية قال بعضهم الصمت يجمع خصلتين
للرجل السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال يونس بن عبيد
ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في

سنة بن عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت
فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم
ان صدقت وقال بعضهم عجبت للمتكلم ان رجعت اليه كلمته ضرته
وان لم ترجع اليه لم تنفعه فان قال قايل هذا الفضل الكبير للصمت
ما سببه فالجواب ان سببه كثرة افات اللسان من الخطا والكذب
والغيبة والنميمة والريا والنفاق والفحش والمرا وابذا الخلق والسعي
بالكلام وغيرها فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان ولا تثقل
عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الشيطان الا من
وفقه الله تعالى وعلم منه صدق نيته فاعانه على امره وقيل ان المنصور
بن المعتمر لم يتكلم بعد العشا الاخرة اربعين سنة والربيع بن خثيم
ما تكلم بكلام الدنيا عشرين سنة اشباه ذلك من قصصهم الامامي عليهم
تتمة وقد ذكره واحال وتحميل لما تقدم قال في منهاج العابدين وحسبك
ان اللسان فيه ربحك وغنيمتك وثمرة تعبك واهمها ذكر كلمة في العبادة
والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وافسادها في الاكثر من
قبل اللسان بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلحظة
واحدة ما تعبت فيه سنة بل خمسا وعشرا ولذلك قيل ما شي احق
بطول السجن من اللسان وفيما يروى ان احد العباد السعد قال
ليونس عليه السلام يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يتقربوا
على عبادتهم بشي افضل من الصبر عن الكلام في فصل طويل ثم قال وما يكن

عندك شي ابر من حفظ اللسان ولا تكون بسبب اعانته من سلامة صدر تركن
هذه ثم اعلم ان الذي تكلمت فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت بالله اسـ
الله فربما توافق ساعة عرض فيغفر الله لك فتربح راس مالك او قلت
لا اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك
اسال الله العافية فربما تسمع حسنة يطرقها فيستجيب الله دعوتك
فتحوز من بليه الدنيا والاخرة فالله ان تكون من الخسران العظيم والعار
الفظيع انه تفوت نفسك من هذه الفوائد الكريمة وتضيع وقتك
فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب يوم القيامة ولقد احسن القائل

واذا ما هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه تسبيحا

انتهى كلام الغزالي

باب

منقول من كلام الثعالبي
ابي الحسين بن محمد الاهوازي وسماه كتاب الفرائد والقلائد وينسبها الى بعض
الكتب الى ابي منصور الثعالبي ولعل بعضهم نسبها الى الهادي علم واطـ
الاول اولا قال فيه ما يشتمل على ادب اللسان قال الزم الصمت
بعد بفضلك فاضلا وفي جهلك عاقلا وفي عجزك حكيما وفي عجزك
حليما واياك وفضول الكلام فانها تظهر من عيوبك ما بطن وتحرك من
عدوك ما سكن كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل
واقتصر منه على القليل كل يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا
وافعل حميدا من حفظ لسانه ولزم شانه واعرض عما يعنيه وكف
عن عرض اخيه دامت سلامته وقلت ندامته الفضل ملك اللسان

الاحسان الزم الصمت يلزمك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك
ثوب الوقار ويكفيك مؤنة الاعتذار الصمت آية الفضل وثمرة العقل
وزين العلم وعون الحلم فالزمه يلزمك السلامة واصحبه يصحبك
الكرامة لئن تصمت لينا او تصد وقا فالصمت حرز والصدق عز الصمت
دليل العقل والبهاء والصدق دليل الستر والبقاء الصمت وصيلة
والصدق وسيلة من كثر مقاله سئم ومن كثر سؤاله حرم كثرة
المقال تمل السمع وكثرة السؤال يوجب المنع اعقل لسانك
الا عن عظة واياك وما يستقبح من الكلام فانه ينفر عنك الكرام
ويحشر عليك اللئام الحصر خير من الهذر لان الحصر يضعف الحجة
والهذر يتلف المهجة من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي اياك
والهذر فانه يورث الملل ويكثر الزلل وكثرة الكلام يزل اللسان
ويمل الاخوان وينفر الجلساء ويسئم الابتر اقل المقال وتوق
السؤال الاملال واعلم ما تكتسب وزرا او يسفر عنك حبرا من اوقط
في المعاذير ومن استخف بالرجال ذل من طال كلامه سئم ومن كثر
اجرامه سئم باطل من اتفقوا عليه حق وكذب من لا تصدق منه
صدق ولا يلاح من يستطيل عليك بغي ولا تنازع من يسمع فيك قوله وان
وضح حقك وصدق لهجتك اياك واللجاج فانه يوقع العلوق وسح
الحروف عن يسلم به خير من نطق ندم عليه اقصر من الكلام على ما
يعم حجتك ويبلغ حاجتك واياك وفضول الكلام فانه يزل القدم

وتورثك الندم جهل به تصغير بعقل خير من علم به سلف من الجهل قصر كلامك
سلم واطل احتشامك تكرم من ما راك احتشام احبك احترام من
ابكر الخطاب ابكر الجواب لكل قول جواب ولكل فعل ثواب اعود
نفسك الا ما يكسب لك اجره ويحسن عنك نشره لا تحاج سفيها الكلام
ملاح اخوانك من حاج سلطانه قهره ومن لاح اخوانه هجروه اعقل الناس
الاغر حق يوضحه او باطل يدحضه او حكمة ينشرها او نعمة يشكرها
واياك وما يوحش به حرا او يطلب منه عذرا يستدل على عقل الرجل
بقوله وعلى اصله بفعله فما الحسن حكم ولا اوحش كرم اياك وفضول
الكلام فانه يخفي فضلك ويبقي عقلك ويغضب ربك ويمل اخوانك وعليك
بالاختصار له والاقتصاد فيه فانه يستر العورات ويوسع الغنا
يستدل على عقل الرجل بقلة كلامه وعلى مروته بكثرة الغامة حد
الحسام يقطع الاوصال وحد اللسان يقطع الاجال واحذر لسانك
اليك ويوقع حادثته عليك واعلم ان طوله يقصر الاجل وقصره يطول
الامل اقل الكلام تامن من الملام قوم لسانك يسلم وقدم احسانك
نعتم يستدل على عقل الرجل بقلة منطقه ومقاله وعلى فضله بكثرة
علمه واحتماله من قوم لسانه زان عقله ومن سدد كلامه ابان
فضله ارفق باخوانك واكفهم غرب لسانك قطع اللسان اشد
طعن السنان وجرح الكلام اصعب من جرح الحسام اياك والخوض
فيما لا تعرف طريقته والعار علما لا تعلم حقيقته لا تقل ما يسيئك

عاجله ويضرك اجله رب لسان اتى على انسان استحي من ما اتى بك
ولا تشهد على من لا تقبل منك ولا تشرع على ما لم تفعل ولا تجب عما لم تسال
لا شي اعون على الانسان من حفظ اللسان الاكثار يزل الحكيم ويمل
الندم قلة المقال تامن من الملال الصمت يكسبك النداهة خير من
نطق يسلبك السلامة فاصمت دهرك يجد امرك اصمت دائما تعش سالما
الصمت اجمل ما تعهد واقل ما يوجد افصح الكلام اكثره بسط
حواشيه وبعض معانيه فلا تزاله امد ولا له حد اقبح العي الحصر
واسوا القول الهذر فلا تصح في حد الكذب ولا تكثر في مقالك اذا اسكت
عن الجاهل فقد اوسعته جوابا واوجعته عذابا فصل وقد
يعرض ما يصير الكلام حسنا ممدوحا بل الحسن السكوت ولا خير فيه بل
يجب الكلام او يندب ويكون الخير فيه على حسب الداعي وذلك كالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوها قال تعالى الا من امر بصدقة او معروف
الاية وقال صلى الله عليه واله وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان
لم يستطع فبلسانه الخبر وفي الشهاب عنه صلعم املاء الخير خير من
السكوت والسكوت خير من املاء الشر وقال مولانا علي كرم
الله وجهه لا خير في الصمت عن الحكم كما لا خير في القول بالجهل وقال
جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفا
والكدر والعلم والجهل لذلك قال امير المومنين عليه السلام المرء مخبو تحت لسانه
نور كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان

كان غير ذلك فالسكوت خير فليس على الجوارح أخف مؤونة وأفضل منزلة وأعظم
قدراً عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر آلاء الله ونعمائه
في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل بينه وبين رسله معنى لكشف ما استر
اليهم من مكنونات علمه ومخزونات فضله وجوده غير الكلام وكذلك بين الرسل
والامم الماضية وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند
الله منه ومن واشدها ملامة واعجلها سآمة عند الخلق منه واللسان
ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب وبه يكشف ما في سر الباطن وعليه يحاسب
الخلق يوم القيامة والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله وليس شيء
احق بطول السجن من اللسان قال بعض الحكماء احفظ لسانك
من حفظ الكلام وفي غيبة ما سكت ان استطعت واما السكينة والصمت فهما
هبة حسنة رفيعة من الله عز وجل لأهلها وهم امناء اسرار في ارضه
وقال بعض الحكماء احسن العلم ما كان مع العمل واحسن الصمت ما كان
عن الخطل **قال الشيخ الاستاذ ابو القسم القشيري رحمه الله**
الصمت سلامة وهو الاصل وعليه الامر والكلام ندامة اذا ورد عنه الزجر
فالواجب ان تعتبر فيه الشرع والامر والنهي والسكوت في وقته صفة
الرجال كما ان النطق في موضعه من اشرف الخصال سمعت الاستاذ ابا علي
الدقاق رضي الله عنه يقول من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس وهذا بعد
حد كما ترى وقال بعضهم الواجب على العاقل ان يلزم الصمت
الى ان يلزمه الكلام فما اكثر من ندم اذا نطق وما اقل من ندم اذا سكت

واطول الناس شقاء واعظمهم بلاء من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد مطبق
قلت ولان الكلام اذا وجب وندب يكون تركها او ادها او من عدم
نصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله والمسلمين وقد قال صلعم قل الحق وان
كان مرا وقال لا ياخذك في الله لومة لائم وقال الدين النصيحة لله
ولكتابه ولرسوله ولسنته ولائمة المسلمين وعامتهم ولان ترك ذلك
من الادهان ومن عدم النصيحة لله وللقرآن ولأهل الايمان ومن عدم
المحبة الخالصة للمنهي والمأمور فان الصديق من حفظ على صديقه دينه
ولو بفوات شيء من دنياه لا العكس فانها صفة الشيطان الا ترى ان الانبيا
عليهم السلام لم يكونوا نصحاء المؤمنين وصدقاء المسلمين الا لنصحهم فيما ينفع في
الآخرة ولو نفع بعضه في الدنيا ولم يكن الشياطين اعداء الا لانهم اغروا
وامروا بما يضر في الآخرة ولو كان فيه صورة نفع في الدنيا فعليك
بالجهد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الغيبة ونحوها وعلى من يبيع
سلعة معيبة او نحوها وكذا كل المنكرات والامر بكل الواجبات
وكل سكوت كان سببا لتمام ضرر مسلم او منكر او فوات واجب او واحد
نعمه حرام وهذا الباب باب عظيم قد تساهل فيه الناس حتى من يظن به الصلاح
والزهد وهذا خطر عظيم وخلل في الايمان ومن سكت عن الحق فقد قصد
راحة نفسه بوهن دينه او رضا الناس عنه ابتغى له واعود عليه
من رضا الله وخشي الناس والله احق ان تخشاه ولا تترك الامر والنهي
بحجة فان المحبة توجب عليك حفظ دين حبيبك وما هيته فان نصروا الله

بصيركم وروي ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة يا عبدي ما منعك ان تقول
في كذا وكذا فيقول يا رب خشية الناس فيقول كنت احق ان تخشاني وقال صلعم
من ارضا الله بسخط الناس كفاه الله شرهم قال بعض العارفين
من ترك الامر والنهي لاجل الناس فقد حقر عظيما وعظم حقيرا وروي ان رجلا
من عباد اصحاب منتعو سعر ذلك فلم ينههم فاحبط الله عمله قال
الصوفية قال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى الرجال
والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بايام الله فراى بعض بنيه يوما غمز بعض النسا
فقال مهلا مهلا يا بني فسقط الحبر من سريره فانقطع نخاعه واسقطت المراة
امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان اخبر فلانا
الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا اما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا
مهلا يا بني **فائدة** المداراة مندوب اليها والمداهنة محرمة قيل
والفرق بين المداهنة والمداراة ان المداهنة من الدهان وهو الذي
يظهر على الشي ويستر باطنه وفسرها العلما بانها معاشرة الفاسق
واظهار الرضا بما هو فيه من غير انكار عليه والمداراة هي الرفق بالجاهل
في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الاغلاظ عليه حيث لا يظهر
ما هو فيه والانكار عليه بلطف القول والفعل اي في المحل الصالح له
اللطف سيما اذا دعت الحاجة الى تالفه او كان لا ينجح فيه الا مثل ذلك
ونحو **وقال القرطبي** الفرق بين المداهنة والمداراة
ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين او الدنيا او هما معا وهي مباحة

وربما استحسنت والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا انتهى قيل كان
لسليمان الخواص رضي الله عنه قط وكان الحمامي يقربه فيعطيه ربه لقطة
فرآه يوما وهو يكلم امراة فقالت له نفسه ان كلمته ووعظته منعك
الرزقة فجا واخرج القط وطردها ثم رجع الى الحمام فقال له اني انك
كنت تكلم امراة ووعظته **تنبيه** ينبغي هذا الكلام ما
روي عنه صلعم انه قال خير الناس امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر
وعن علي كرم الله وجهه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر قال في المقابلة والثمرات ويجب على مرتكب المنكر
ايضا ان ينهى عن ما ارتكبه هو لان ترك ارتكابه ووجوب انكاره
واجبان عليه فترك احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن
السلف مروا بالخير وان لم تفعلوه وعن الحسن انه لما سمع من يقول
لا اقول ما لا افعل فقال ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد
بمعروف ولا ينهى عن منكر ومع انه يجب على الانسان ان يامر نفسه قال سبحانه
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون
فوبخهم على تركه نزلت في احبار اليهود قال في الثمرات وقد
قيل في ذلك لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
وابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم
يا ايها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

قال ـــــ في المقالبد وقد قال سبحانه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون الربانيون الزهاد
والاحبار العلما والمراد التسجيع عليهم في التوانى والاعراض عن النهي
فجعلهم اعظم من مرتكبي المناكير لقوله فيهم يصنعون وفي المرتكبين يعملون
لان كل عامل لا يسمى صانعا حتى يتمكن وينسب اليه فالصانع عامل وزيادة
قال فيه وكان السبب في زيادة اثم تارك الانكار مواقع المعصية معه
السهو الذي يصحبه على ارتكابها واما الذي يتعاطاه فلا تشتهيه معه في فعل غيره
فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من الموافق قال وهذه الاية مما
تعذ السامع اي تقتله بغير حد ومنه الموقوذ وهي نعي على العلما
توانيهم وعن ابن عباس هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران
من اية اخوف عندي منها

باب في الغيبة اعاذنا الله منها

البلوا بها نعوذ بالله من معاصيه ومنها

فصل في حقيقة الغيبة وما

يتبع الحقيقة روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك
بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد
اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم وابو داود والترمذي
والنسائي قال شارح الحمسانية وظاهر هذا التفسير انه اذا لم يكن
يكره ذلك لم يكن غيبة ولو قصدت نقصه وظاهر تفسير اصحابنا ان قصد
النقص كاف **نعم** ثم قال الفقهاء رضي الله عنهم على جهة الشرح لما ورده

والتنبيه الغيبة هي افهامك المخاطب في غيبة اخيك ما هو فيه مما يكرهه
تريد به نقصه وهو ما يقصده عبد الله قولهم افهامك المخاطب ليدخل
فيه الكتابة والاشارة والرمز والغمز والاشارة بالعين او اليد وقولنا
الكتابة
المخاطب المعهم ذكرا او انثى حرا ام عبدا صغيرا ام كبيرا صبيا كان
او طفلا فاسقا ام عدلا ام والدا خادما او مخدوما بارا وحاما غيره
وانما ذكرت ذلك وان كان ظاهر المعلم ببعضهم بدينه بالكبد او بعيبها
لانه كثير ما يجري التسامح بين اهل الدين والشريكين والخلطين والوالد
والولد والزوجين وكل ذلك من الغفلة عن الله وعن التدبر للعمل بالعلم
وقد روي عنه صلعم ليستحي احدكم من الله كما يستحي من الرجل الصالح
فكما تجتنب الغيبة ونحوها من المعاصي والكلام في محاضر الصالحين ومجامع
العلما الذين ينكرونها فاجتنبها في كل موضع فما يكون من نجوى ثلثة الا
الله معهم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم
يكتبون ملك رقيب وملك قريب ان من يفعل المعاصي جهلا حين يخلو به عن خلق
كيف يخلو وعنده شاهدا كاتباه وربه ذو الجلال

قولهم في غيبة اخيك المسلم هذا اذا كان المذكور

معينا او جماعة معينين احيا او امواتا فاما اذا ابهمه ولم يعينه بعينها
يفهمه احد من المخاطبين او ذكرت جمعا يتعين فيهم الايمان ولمبعض من الغيبة
قوله ما هو فيه مما يكرهه تريد به نقصه وهو ما يقصده عبد الله وقالوا
افهامك ليدخل فيه الكلام والكتابة والاشارة والغمز والتعريض الى ذلك

كقولك عند اغتياب الغير الله يصلحنا أو نعوذ بالله من ذلك والحمد لله الذي سلمنا
من ذلك أو نحو ذلك وقد يجمع بعض العامة بين غيبة بأن يتعدى الغيبة بدعا
للمذكور فيضيف الدعوى به إلى الغيبة فيقول الله يذكره بخير أو لا بأس به
أو نعم الرجل إلا أنه أو نحو ذلك وهذا كله أوله وآخره غيبة **وقد قال**
بعض العلماء واعلم أن أخبث الغيبة غيبة القراء يقولون مثلا الحمد لله الذي
لم يبتلنا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا ونعوذ بالله من قلة الحيا
وهم يفهمون المقصود بذلك ويقول أحدهم ما أحسن أحوال فلان لولا أنه بلي
بما يبتلى به أمثالنا وهو قلة الصبر عن الدنيا فنسأل الله أن يعافينا
وغرضهم بذلك الغيبة فيجمعون بين الغيبة والريا وإظهار التنسك بأهل
الصلاح في الحذر من الغيبة وهذه جهالة يغترون بها ويظنون أنهم تركوا
الغيبة وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول أحدهم
سبحان الله ما أعجب هذا حتى ينتبه القوم للإصغا فيستعمل ذكر الله تعالى
في تحقيق خبثه ويقول قلبي مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه
الدعا بل التعريف ولو قصد الدعا أخفاه ولو اغتم قلبه لأجله لكتم عليه
غيبة وكذلك قد يظهر تعجبا من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه في الغيبة
فهذا كله غيبة وخبائث أشباهها إلخ ومن هذا القبيل بدعة دارجة في لسان
بعض أهل الزمان يقول أحدهم بعد غيبته أو أثنائها والعفو منها الله
اجعلها غيبة وهذه كلمة من جميع جوانبها معيبة وهي بنفسها غيبة
وفيها مغالطة لأنها في نفسها غيبة ومن ذرائع الغيبة وطلائعها وكيد

سخرية بها من الغيبة وكأنه توهم أو يوهم أنه قد احترز من الغيبة
وليس من المها وغيرها جنة وهذا نوع من قلة الدين والجهل والجنة وهذا
الإيهام معصية ومنها أنه دعا إلى أن يفعل ما حرم حالا وذلك
نوع جراءة وقلة حيا من الله الملك الأعلى وتلاعب وهل سمع الراجي
يقول الله اجعله ربا بل ذلك نوع سخرية وتلعب وهل يمكن أن يظلم
أخاك ثم يذكر اسمه وشرا ويقول الله اجعلها ظلمة ومنها أن الداعي
بذلك يقصد الإيهام للحاضرين أنه من المتحرزين وهو من المتجرئين يغتاب أخاك
المسلم ويوهم أنك مبارك نفعنا الله بالصالحين غيرك فاطرح جمعت
من المآثم والأخطار فهي كما قيل غدر شر من حرمه في التصعيد
ومن أسباب الغيبة الخاصة لأهل الدين وهي أعظمها وأدقها لأنها
شرور يخبأها الشيطان في معرض الخيرات وهي ثلاثة الأول منها إظهار
التعجب وهو أن يقول الرجل ممن يتمسك بالدين ويظهره يعجبني من فلان
كيف جاوبته وهي صحبة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل وذلك مكر
عند التعجب منه فيسهل الشيطان له ذكر اسمه في معرض تعجبه فيصير به
مغتابا من حيث لا يدري **الثاني الرحمة** وهو أن يغتم بسبب ما
يبتلى به فلان فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقا
في اغتمامه للرحمة و[illegible] عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا
الثالث الغضب لله فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه
أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه

وما يذكر اسمه ولا يذكره بالسوء لكن باسمه يكون غيبة فهذه الثلاثة مما
يغمض دركها على العلما فضلا عن العوام والاحتراز عن هذه الامور هو
احوط للدين هذا الثالث لشناعته لاخر فهذا الثالث لان مذهب الامام
ى على ما لمذهب الشافعية وغيرهم ممن لم يحرم غيبة الفاسق قالوا وكذا
يحرم غيبة الذمي ومن هو في امانا بالعهد لانه كما يجب الدفع عن اموال
اهل الذمة يجب الدفع عن اعراضهم ترغيبا لهم في قبول الاسلام والجر
قال بعضهم وقد اخطا من اباح الغيبة في اهل الذمة ويكفي في الرد
عليه قوله صلعم من سمع ذميا وجبت له النار رواه ابن حبان في صحيحه
ومعنا سمع اغتابه او سمعه ما يكرهه **تنبيه** ومما يوجب الحذر منه
ما استعمله كثير من الجهال حيث يقولون في ابتدا الغيبة او اثنايها او عقبها
استغفر الله في حقه وهذه فيها اخطار لانه كما قال الغزالي فيما تقدم
يستعمل الاستغفار في تحقيق خبثه ولانه ربما يعود للغيبة وانما الاستغفار
النافع ما قارن الندم والاقلاع وفي الحديث المستغفر من الذنب مع اقامته عليه
كالمستهزي بربه وعن مولانا علي شرعة الاستغفار باللسان توبة الكذابين
وقال بعض الصالحين ليس المستغفر من استغفر باللسان
واقام على اغفال الهوان انما المستغفر من ترك العصيان وصدق ابو ترك
غيبة اخيك المسلم ودع الاستغفار في حقه فترك الذنب خير من
التوبة الصادقة فكيف التوبة الكاذبة ولعل الباعث ايضا على هذا الاستغفار
هو الرياء والتصنع والتزين للمخلوقين **وقول الفقها المسلم**

احترازا من الفاسق المجاهر كما جاء عنه صلعم من القى جلباب الحيا فلا غيبة له
ولا غيبة لفاسق على احد التاويلين وهو الاصح يوكد ما رواه الطبراني
في الثلاثة متى ترعون عن ذكر الفاجر هتكوه حتى يحذره الناس **قال**
السمهودي واسناد الاوسط والصغير حسن ورجاله موثقون والاية
الكريمة تدل عليه **تنبيه** ولكن ينبغي اذا ذكرت الفاسق
لمصلحة دينية كي يحذره الناس ونحوه او لازالة بهيمة يحبه او سفير
عنه وعن مثل حاله او موافقة لمراد الله ونحو ذلك مما قصدت فيه
وجه الله ولئلا تغتر به ويحاله الناس فلا باس وان يخف وان اثر وان
كان لمجرد غرض النفس والتشفي والتشهي فالحذر من ذلك فانه حرام
او مكروه ولقد قال بعض العارفين وما احسن ما قال
سبحان الله افضل من لعن الشيطان فلما يعدل من الفضل الى الفضول
واين انت عن سبحان الله والحمد لله فانها خير مما طلعت عليه الشمس
يقول الرسول ولانه ربما جرا عليك الشيطان والمومن ليس بلعان
والطعان بل يشغل رب الارباب ويوم الحساب عن ليلى وسعاد ونحوه
لسانك المنطق الطيب على مثل ما روي عن عيسى عليه السلام انه قال الخنزير
اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اللسان عودته فيه منطقا
طيبا ولانك اذا عودت لسانك البذا يعود ويخرج بك من ذم الفاسق
الى الملتبس حاله ثم الى المومن فيحار حول الحما يوشك ان يقع فيه
وعن مولانا علي كرم الله وجهه لسانك يقتضيك ما عودته واقل ما ملكو

ان يكون لغوا يضيع الوقت به وربما كان داعيا الى الحرام ومن سمعه فامنع
لذيذ المباح يصطلحها على ترك الحرام وقول الفقها بما هو فيه فاما
ما اليس منه فهو ابلغ في الحظر والتحريم لانه جمع فيه الغيبة والكذب قال صلى الله عليه وسلم
ومن قال في مؤمن ما ليس فيه اسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما
قال وردغة الخبال عصارة اهل النار وقولهم مما يكرهه حتى يعم ما كان
في خلقه بل وفيه نهي اخر لانه عاب صنعة الله تعالى ذكر معناه بعضهم او خلقه
او دينه او دنياه او معيشته او ثوبه او لبسته او زوجه او ولده او والده
او بهيمته او افعاله او اقواله حتى لو قلت هو يعتاب الناس فقد اغتبته
فالحذر من انكار الغيبة في الغيبة بل الى وجهه انه لعلك انه يعتاب الناس
سرا وقد قال مولانا علي كرم الله وجهه من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه
ومن نصحه علانية فقد فضحه وشانه وروي للشافعي رضي الله عنه وكذا معا صح
ومغايبه الا ان يتمرد ولا يقبل فاظهر حاله على حسب ما يقدم وان عاب وان
خاض فيما لا يجب عليك وتوجه اليك فعله وقوله من مما يكون غيبة للواحد
غيبة الجماعة كما لا يخفى كمن يعاب شخصا فانه غيبة له ولوالديه واولاده
وزوجه **واعلم** انه لا فرق بين ان يكون المذكور حيا او ميتا بل في
سب الاموات ترهيب خاص مع العام وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذكروا محاسن موتاكم
وكفوا عن مساويهم وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فعل يزيد
بن قيس لعنه الله فقالوا قد مات قالت فاستغفر الله فقالوا لها ما لك لعنته
ثم قلت استغفر الله قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا

الى ما قدموا رواه ابن حبان في صحيحه وهو عند البخاري فلا عرف لك وعند مسلم اذا مات احدكم فدعوه
واعرض عن ذكر الاموات بغير الخير ان لم يدع مصلحة واسعد لمثل يومه
فكان قد وكذا اذا اغسلته فلا تذكر شيا مما تراه مما يجب كتمه وقد قال صلى الله عليه وسلم
من غسل ميتا فادى فيه الامانة ولم يفش عليه ما يكون منه عند ذلك
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه **تتمة** ولا فرق بين ان يكون المذكور
بالغيبة ايضا صغيرا ام كبيرا معروفا او مجهولا قريبا ام بعيدا حرا ام
عبدا ولدا ام والدا بل حرمة الوالد والرحم اعظم فلا تقار في غيبة ولدك
ونحوه وكذا الزوجين ومن انواع الغيبة من يشكو ولده الى من لا ينفع ونصح
اخلاقه له كقوله كسل شيطان ونحو ذلك مما يكرهه الابن واشنع من
ذلك من يشكو اهل بيته الى ضيفه وحاضريه ويذكر سوء عشرتهم وصناعتهم
في الطعام بقصد بذلك التحبب الى حاضريه وتحببهم بحسن معايب اهله وكل
ذلك من قلة الدين والحياء **فائدة** في الارشاد من حق الزوجة ان يحسن
الزوج معها خلقه ولا يضارها ولا يضارمها ولا يسبها ولا يسب اهلها
ولا يهجرها ولا يعجل عليها ويجب ان يعلمها معالم دينها ويؤدبها وان يصدقها
وان لا يستكبر عليها ولا يذم خلقها ولا خلقها ولا يفشي سرها ولا
يخبر احدا بقبح فعلها ولا سوء خلقها ويجب ان يتجاوز عنها ويعلمها من الصلاح
ما يليق بها ولا يمنعها نفقة ولا يدها الا على حسب ما امر الله فقد قال صلى الله عليه وسلم
خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وفي صحيفة علي عنه صلى الله عليه وسلم احسن الناس
ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وانا الطفكم باهلي **تنبيه**

قال بعض العلماء ويستحب أن يجامع إذا قدم من سفر ولا يطرقها ليلا كما في
الحديث حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة ويستحب أن يغطيا حاله
بثوب وأن يناما في فراش واحد إن لم يكن عذر سيما إذا علم رغبتها في
ذلك ويكره وطء الزوجة والأمة عند أحد آخر وذكر ما جرى بينهما والوطء في
وظاهر الشرح رحمه
الليلة الأولى من الشهر والآخرة وليلة نصفه أو أول الليل لئلا ينام
جنبا فيها من الغياب قال وله الوطء في زمن يعلم دخول وقت المكتوبة فيه
وخروجه قبل وجود الماء أو أنها تغتسل عقبه وتفوت الصلاة نعم
واحذر أيها السامع من أن تذكر أهل بيتك أو المرأة تذكر زوجها للناس
بما يكره أو بشيء مما يتعلق بالإفضاء والمعاشرة أو وصف أحد الزوجين صاحبه
للناس مما تدعو إليه الوقاحة وقلة الحياء وعدم المروءة والغيرة
فإنه ينبغي عن كل ذلك كما تراه مع أن العقل والمروءة يكرهه ويأباه
فالحذر منه سواء كان النكاح باقيا أم قد زال وانقطع بموت أو طلاق وفيه
نهي خاص مع ما ورد في الغيبة إن حصلت حقيقتها فيه قال النبي صلعم إن من أشر
الناس عند الله منزلة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما
سر صاحبه وفي رواية إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل
يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها رواه مسلم وأبو داود وغيره
وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلعم والرجال
والنساء قعود عنده فقال لعل رجلا يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت
مع زوجها فأرم القوم فقلت إي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن

ليفعلن قال فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها
والناس ينظرون وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعل أحدكم أن يخلو بأهله يغلق بابا ثم يرخي سترا ثم يقضي حاجته
ثم إذا خرج حدث أصحابه بذلك ألا عسى أحدكن أن تغلق بابها وترخي
سترها فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبها فقالت امرأة سفعاء الخدين
والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن قال فلا تفعلوا فإنما
مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته منها
ثم انصرف وتركها وروي أنه قال صلعم السباع حرام قيل هو الافتخار
بالجماع فاحذر أيها السامع من ذكر أهلك في المجالس والجوامع وهكذا
في حلائلكما وكم يجامع فإن ذلك نقص في الدين والعقل والمروءة ولا تذكر
أحدكما صاحبه للناس بما يتعلق لأجله الأبواب ويستتر بالأبواب فعقبه
نهي الغيبة إن كان فيه نقص والأعقبه النهي الآخر وزواجر أخر فهو
منهي عنه وفي الحديث لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر
إليها وهذا النهي عام للمرأة أن تخبر زوجها أو غيره بحسن بدن امرأة
أخرى إذا لم تدع إليه حاجة شرعية من رغبة في نكاحها ونحو ذلك
وكذلك المرأة لا تخبر الغير بحسن بدن زوجها أو غيره نعم وقول
الفقهاء يريد به بعضه احترازا من الخارج للشاهد والراوي والمفتي
والمصنف لئلا يغتر بأقوالهم والغالط في مسألة يحسن أن يعرفها
كقولك لم يصدر عن فطانة منها غلط مع تحقيق ذلك وقصد وجه الله

وبيان الحق وكذا المشتكي على غيره لنصيحة له كما في قصة فاطمة بنت قيس
والمحذر لغيره كمن اراد ان يصلي وراء مجروح او يصاهره او يودع او نحو
ذلك معه من الامور وكذا من اراد ان يشتري معيبا فيحذره المشتري وكذا المشتكي
ممن ظلمه بقول او فعل الى من يرى ازالة شكايته وكذا المستفتي لغيره كقوله ظلمني
فلان او فعل معي فلان كذا فهل يجوز ان افعل له كذا كما في قصة هند انه رجل
مسيك او شحيح وكذا المستعين لغيره على ازالة منكر والمعرف كقوله فلان
الاعور ويشترط في هذا القصد النقص والذم بل يقصد النصيحة فان قصد
النقص مع ذلك اوذكر ما لا يحتاج الى ذكره في قصته وشكواه كان عاصيا
وما يعتري على نحو هذه الامور والمقاصد فهو غيبة ولو قلت ما قصدي العيب
كيف وقد حسنت بحقيقتها فلا يجهل معنا قولهم يريد نقصه فانهم اخبروا
من هذه الامور وهل يسع المرء ان يضرب اخاه ويقول ما قصدي ضربه
قال بعض العلماء فلو كان هذا الفعل مما يكون المذكور ذكره وليس
بعض كذلك نعبان وزهان هل يحرم ام لا قال صش ذكره ولو باسمه
او كنا به حتى بالقلب عن كل المحصور المعين ولو عند بعض المخاطبين ما يكره
عرفا بنحو صلاح وان كرهه ويحتمل انه افرق فايده وكلما حرم
النطق به حرم كتبه على انا فان القلم احد اللسانين وقيل العيال احد
اللسانين والياس احد الرحمين املاك العجز احد الرتعين والهرم احد الموتين
حتى قال بعض من يكفي في الغيبة التصدق بالمرء وهو قولهم وهذا
عبد الله احمد زروق الفاسي الذي علم فسقه بمشاهدة او تواتر الخبر

عدل واحد وفي الاسير نظر واذا سمع غيبة مجهول فاختار وجوب
الانكار لان الاصل تحريم الغيبة وكذا يحرم على اهدا غيبة من لم يحقق
ايمانه وفسقه ولا يلزم كل مؤمن لامانه على ما ذكره في التكملة بتمام اهدى
الحقيقة وحسبي قال الامام جعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنهما الغيبة حرام على كل مسلم ماثوم صاحبها في كل حال وصفة الغيبة
ان تذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب وتذم ما تحمده العلم فيه واما
الخوض في ذكر الغائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس
بغيبة وان كره صاحبه وكنت انت معافا منه خاليا عنه وتكون بذلك مبينا
للحق من الباطل ببيان الله تعالى ورسوله واما اذا اردت به نقص المذكور
بغير هذا المعنا فهو ماخوذ بفساده وان كان صوابا فان اغتبت
فابلغ المغتاب فتحلل منه فان لم تلحقه فاستغفر الله له والغيبة تاكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام المغتاب
ان تاب فهو اخر من يدخل الجنة وان لم يتب فهو اول من يدخل النار
قال الله عز وجل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا
الله ان الله تواب رحيم واصل الغيبة تتنوع الى عشرة انواع
شفاء غيظ ومساعدة قوم وتصديق خبر بلا كشفه وتهمة وسوء ظن
وسخرية وحسد وتعجب وترحم وتبرم فاذا اردت السلامة فاذكر
الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الاثم ثوابا
انتهى قلت وبيان هذه الانواع العشرة تفهم من كلام الصفية وهذا

كلام قوى الدليل فيما ارا اعني جواز غيبة اهل المعاصي كما ذكر الصا

وعو هذا قول القايل

اذا انا المعروف لم ابن صادقا ولم اشتم البكس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

فصل واعلم ان الغيبة من امها آفات اللسان

ومن المعاصي التي اطلق طبق عليها كثير من اهل الزمان حتى كانهم ما سمعوا النهي الشديد عنها في محكم القران ولا بلغهم ما شدد فيها نبي الايمان ولا علموا ما تكلم فيه الزجر عنها العلما والحكما في كل اوان وهذا بعض ما ورد في النهي عنها من القران ثم السنة ثم الاثار والاشعار قال الله عز وجل ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه قال بعض المفسرين هو مثل للاساله المغتاب من غرض من يغتابه على افطع الوجوه وفيه مبالغة في ذلك بوجوه منها انه لم يقتصر على ياكل لحم الانسان حتى جعله اخا ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا

قال الشاعر

احذر الغيبة فهي الاثم ارخصه فيه ○ انما المغتاب كالاكل من لحم اخيه

نعم وقال سبحانه والناشطات نشطا ورد في حديث انها كلاب في جهنم تنشط لحوم الذين ياكلون لحوم الناس بالغيبة وقال سبحانه هماز مشا بنميم اى عياب طعان في اعراض الناس وعن الحسن يلوي شدقه في

اقفية الناس فانظر كيف جمع ذكر الغيبة مع خصال الكفر فهذا يدل على عظمها هي والنميمة وانهما من اعظم الاخلاق الذميمة وقال سبحانه ويل لكل همزة لمزة قال المفسرين المراد الطعن والمراد الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم قال ابن الجوزي وقد اختلف فيه فقيل الهمز واللمز معناهما واحد فالهمزة الطعان العياب واللمزة مثله وقيل بينهما فرق فالهمزة الذي يعيب الناس في وجوههم واللمزة الذي يعيبهم في ظهر الغيب قاله الحسن ومقاتل وعطا وقيل الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في انسابهم وقيل الهمز الذي يعيبهم بعينه اي يشير بعينه يريد ذمهم واللمزة الذي يعيبهم بلسانه قاله قتادة وقيل عكسه وقيل الذي يوذيهم بلسانه همزة والذي يوذيهم بين لمزة نعم وفي الحديث ان الويل وادي في جهنم نعوذ بالله منها يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره فهذا مما في القران العظيم من الزواجر عن هذا الذنب العظيم وكفى بالقران زاجرا رادعا وناهيا وازعا لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا واما كلام من لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فورد من ذلك نهي كثير وتشديد كبير عن هذا الذنب الكبير وانا اذكر بعض الذي جا عن الصادق المصدوق الذي لعش سعيه يقربنا من الجنة الا وقد دلنا عليه ولا شي يبعدنا من النار الا وقد حذرنا صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله فمن ذلك قوله صلعم في حجة الوداع ان دماكم واعراضكم حرام عليكم كحرمة

يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا هل بلغت رواه البخاري ومسلم وغيرهما

وقال صلعم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وقال اربى الربا

عند الله استحلال عرض امرء مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي

صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة

فقال صلعم لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قال بعض العلماء وهذا

اشد حديث ورد في تحريم الغيبة **نعم** وذكروا عنده صلعم رجلا

فقالوا لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل له فقال صلعم اغتبتموه فقالوا

يا رسول الله انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت اخاك بما فيه وعن

ابي بكرة رضي الله عنه قال بينما انا امشي مع رسول الله صلعم وهو آخذ

بيدي ورجل عن يساره فاذا نحن بقبرين امامنا فقال رسول الله

انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وبلى فايكم ياتيني بجريدة فاستبقنا

فسبقته فاتيته بجريدة فشقها نصفين فالقى على ذا القبر قطعة وعلى

ذا القبر قطعة وقال انه يهون عليهما ما كانتا رطبتين وما يعذبان

الا في الغيبة والبول ايضا وقوله صلعم عليه وما يعذبان في كبير يعني

في ظنهما وزعمهما او في كبير مجاهدته واجتنابه فان اجتنابه كان سهلا

عليهما ويسيرا غير عسير فان ترك الغيبة امر سهل لانه ترك والترك

من اسهل الامور خصوصا مع ضررها وعدم نفعها وكذا محاذرة

البول بالاستبراء من البول وتجنب مهاب الريح ونحو ذلك قال

الهواري ويشق الجريد وهو عود النخل كان نوعا خصوص بالنبي صلعم

او في بعض القصة فقط وعن ابي امامة رضي الله عنه قال اتى رسول الله

صلعم بقيع الغرقد فوقف على قبرين ثريين فقال ادفنتم فلانا وفلانة

او قال فلانا وفلانا قالوا نعم يا رسول الله قال قد اقعد فلان الآن

فضرب ثم قال والذي نفسي بيده لقد ضرب ضربة ما بقي منه عضو

الا انقطع ولقد تطاير قبره نارا ولقد صرخ صرخة سمعها الخلائق

الا الثقلين الانس والجن ولولا تمريج في قلوبكم وتزيدكم في الحديث

لسمعتم ما اسمع ثم قال الآن تضرب هذا ثم قال والذي نفسي بيده

لقد ضرب ضربة ما بقي منه عظم الا انقطع ولقد تطاير قبره نارا

ولقد صرخ صرخة سمعها الخلائق الا الجن والانس ولولا تمريج

في قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما اسمع قالوا يا رسول الله وما

ذنبهما قال اما فلان فانه كان لا يستبرئ من البول واما فلان

او فلانة فانه كان ياكل لحوم الناس وفي رواية قالوا يا نبي الله متاهما

يعذبان قال غيب لا يعلمه الا الله تعالى **اقول** اسمع يا هذا واعرف

كلام من هذا قبل ان تقع بمثل البلاء هذا ولا تكن ممن اعمى في هذا

فهذا كلام نبي الهدى وهذا قول من لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي

يوحى فاعتصم به واحذر ما حذرك من عقوبته ✦

وعن سالما صنعه او عن عمه ويعقب حصار العدس ايام مغتسلا ✦

فصل وروى الاصبهاني عن ابي امامة قال قال رسول

الله صلعم ان الرجل ليؤتى كتابه منشورا فيقول يا رب فاين حسنات

كذا وكذا اعلمها لعسى في صحيفتي فيقول يحبط ما عملك الناس وروي عن عمار
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلعم يقول الغيبة والنميمة يحتان الايمان
كما يعضد الراعي الشجر رواه ايضا الاصبهاني وروي في سنن ابي داود عن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار
من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هولاء يا جبريل قال
هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلعم فارتفعت ريح منتنة فقال رسول
الله صلعم اتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون المومنين رواه
احمد
فاسمع يا اخي واجعل عقد ايمانك رخيا واترك ذلك اللحم الذي انتن
من رمم فانه من خصال الكرام الغفلة عما يعلم ولا تاكل لحوم الناس ترد الغيبة
من اهل الافلاس وتصون من ريح تهتكك على اهل النار الا بعاش ويجعل
لك اظفارا من نحاس يخمش بها وجهك وصدرك وتشعل الغيبة عليك نارا في قبرك

تنبيه ومما اكد تحريم الغيبة على الصائم ونحو وكذا القائل
قال النبي صلعم رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وقال صلعم
افطر الحاجم والمحجوم له وقال الصوم جنة ما لم يخرقها يعني بكذب او غيبة
وقال صلعم في قائلين صاما مما احل الله وافطرا على ما حرم الله انهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا
باكل
اليوم لحوم الناس قال بعض العلما ما معناه والله اعلم قوله افطر الحاجم
صيامكما صحيح لانه يتسلم ببطلان ثوابه او نقصه لان معناه ابطل الله
فهو هنا بمن يقول اهدى الملك جائزة مقطعة الاطراف سو هاديه

هل يسمى جارية فان القائل يقول نعم يسماها جارية ولكن فرق بينها وبين
وبين الحسناء السليمة كذلك صيام من يغتاب او يسب او يخاصم او يعطى
على منتنة الطعام وكذلك سائر العبادات وكذا من يكذب في صيامه
فانه ما فضل ان لم يكن راجعا بالكل فمعنى ان يسكن اعضاه الشبعة عما
لا يحل ويجتنب الخصام والكذب ومنتنة الطعام ولا يكن مغتابا ولا نماما
وكما منع نفسك لذة الماء والخبز والتمر والعنب فامنعها من ذلك ومن نجم
الغيبة وان احد قاتلك او خاصمك فقل كما امر النبي صلعم اني صائم اني صائم
وان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاضطجع
قل لمن صلى وصاما ۝ هل يحفظ الكلاما ۝ ويخلف لذ الاوطا ما كولا حراما
ان يكن ذاك فقد فرق واخلص الصياما

تنبيه قال بعضهم لم يفهم الفقها
من الصوم الا الامساك عن الوقاع وعما يدخل الجوف ونحو ذلك وفهم الصالحون
منه انه الامساك عما حرم الله وفهم المغفور منه انه الامساك عما لا ضرورة
اليه وفهم الصدق يقول انه الامساك عما سوى الله فكلما لغير الله فهو عندهم
مبطل للصوم قال في الاحيا للصوم ثلث درجات صوم العموم وهو
كف البطن والفرج وصوم الخصوص وهو كف السمع والبصر واللسان واليد
والرجل وسائر الجوارح عن الاثام وصوم خصوص الخصوص وهو صوم
القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية
ويحصل الفطر في هذا بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر في الدنيا الا الدنيا

تزاد للدين فان ذلك من زاد الاخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب
القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت خطيئة
بان ذلك من قلة الوثوق بالله تعالى برزقه الموعود وهذه رتبة الشيوخ والصديقين
والمقربين اسهابهم **وروي** في النعمة ان ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه
اهدي اليه سلة من تين عبد عوف السمن فقسمها في جيرانه فقال له بعض اصحابه
لما لا تدع شيئا فقال السمن صوما ما للوابلي ما استحي الله اما لكم حياء اما لكم زاجر
اما تخافون العقوبة من الله سوء ظنكم وبهذا الامل الطويل الى المساء فتكلم الله
فصل الله واحسنوا الظن به فان ما عندكم ينفد وما عند الله باق
وردت في الغيبة من العلماء والحكماء واشعار قال مولانا علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه كيف يا لعائب الذي عاب اخاه وعيره بلواه اما ذكر ستر الله عليه من
ذنوبه ما هو اعظم من الذنب الذي عابه وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله وان لم يكن
ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم الله
لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اكبر يا عبد الله
لا تعجل في عيب احد بذنبه فلعله مغفور له ولا تامن على نفسك صغير معصية
فلعلك معذب عليها فليكفف منكم من علم منكم عيب غيره لما علم من عيب نفسه
وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلي به غيره وقال من اشتغل بعيب
الكريم عصمه عما يعلم وقال ايضا كرم الله وجهه من نظر في عيب نفسه اشتغل
عن عيب غيره **وعنه** ايضا الناس من خاط بذنوبه ووقف على
وعن علي بن الحسين من كف عن اعراض المسلمين اقاله الله عثرته يوم القيامة

وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه دواء واياكم وذكر الناس فانه
داء وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما اياكم والغيبة فانها ادام كلاب النار
وقال القسم بن ابراهيم رضي الله عنه ومن جعل عيب نفسه
نصبا واطهر على من سواه في نسبي افعاله غشا وكان الذي به اطال عيبه
... لا يحب ان يكون على نفسه اعيب لانه من اسعد امرا من عيب
ورضا لنفسه بمثله فقد دل على جهله ومن سها عن عيبه كان بلا نعمه
احد ... نوائبه وعن ابراهيم بن ادهم عن رجال الله في جبل لبنان
انهم اوصوه بعظ ابناء الدنيا ما ارتفع من جملتها ومن يكثر الفضول في الغيبة
فانه اخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن ابي قلابة ان في الغيبة خراب
القلب من الهدى وعن بعضهم لان اكف لساني عن عرض المسلم احب
الي من حجه وقال عدي بن حاتم الغيبة رعي اللئام قيل وفي وصية لقمان
لابنه يا بني احتمل الصغير لصغره والكبير لقدره والجاهل لنقصه
والعالم لفضله واياك وطلب عيوب الناس ان كنت تعلم انك لا تخلو
منها وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه من قنع برزقه
لم يحزن ابدا ومن منع نفسه من الشهوات صار حرا ومن نظر في عيوب
نفسه شغل عن عيب غيره **وقال** الاحنف بن قيس طلب العيب عيب
وعن بعض الصالحين العاقل ينظر الى عيوب نفسه والجاهل ينظر الى
عيوب الخلق وسمع اعرابي قوما يذكرون رجلا فقال اسكتوا
عن عيبه لو كان خاص الاسر عنه الى مدحه قرب بمعنى لحيي بما هو

وما دح سواه بما لا يعرف فيه وقال آخر إنما يطلب عيب غيره المعيوب لذلك
إنه يريد بطلب عيوب غيره التسلي بها عن عيوب نفسه وقيل للربيع بن
خثيم رضي الله عنه لم لا تذكر الناس فقال والله ما أنا براض فأتفرغ لذكر
الناس إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس ولم يخافوه في ذنوب أنفسهم
وقال بعض البلغاء أفضل الناس من كان بعيبه بصيرا وعن غيره
ضريرا وفي منثور الحكم من أبصر عيبه لم يعب أحدا ومن عمي عن عيبه لم يزل
مشغولا أبدا

فصل في أدب النفس

كان بعض الحكماء يسأل إخوانه
عن كل ما خفي عليه من عيوبه ويقول إنما يهدي إلي أحد هدية أحب إلي
من عيب خفي علي إلا عيني وارتدع عنه ومن ظن أنه نقي عن العيوب فهو
عيب كله وأكبر عيبه نقص عقله إذ ظن بنفسه ذلك وقد قال بعضهم في
ذلك شعرا ۝ ولقلما ينجو الفتى المحمود من لطخ العيوب ۝ وقال آخر
إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يستر ۝
وقد قال في بعض الأقاويل قائل له منطق فيه كلام محبر ۝
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم فلا عيب إلا دون ما فيك يذكر
فإن عبت قوما بالذي فيك مثله فكيف يعيب العور من هو أعور
وإن عبت قوما بالذي ليس فيهم فذلك عند الله والناس أكبر
فما تلتمس للناس عيبا تجد لهم عيوبا ولكن الذي فيك أكثر

وقال المقري

شر الورى بعيوب الناس مشتغل مثل الذباب يراعي موضع العلل

وكم ندمت على ما كنت قلت به وما ندمت على ما لم تكن تقل ۝

وقال آخر

لا تكشفن من مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن أقوام إذا ذكروا ولا تعب أحدا يوما بما فيكا ۝

وقال آخر

أرى أن شر الناس في الناس من بدا أكولا لأعراض الرجال شروب
يرى الجذع في عينيه ما لا يعيبه ويطرف عيني القذا فيعيب ۝

وقال آخر

والمرء إن كان عاقلا ورعا أشغله عن عيوبهم ورعه ۝
مثل المريض السقيم يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه ۝

وقال ابن الرومي

يا مثل العيب عيب ما ۝ في الذي قلت زيب ۝

فصل رادع وازع عن هذا الذنب

عن النافع قال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا
درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة
وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك
دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت
حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح
في النار رواه مسلم والترمذي وغيرهما وقد مر حديث أبي أمامة

وقد اعتمد هذا المعنى كثير من المصنفين في كتب المعاملة من اهل الحديث
واهل الاصول واهل الطريقة **قال في رسالة القشيري**
مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته شرقا وغربا
ويمينا وشمالا ذهابا بمرحلة تركيا واخر عراقيا واخر حجازيا. وذكر
في منهاج العابدين مثل ذلك وروي عن الحسن البصري ان قيل له
اغتابك فلان فبعث اليه بطبق فيه رطب وفي رسالة القشيري
فيه حلوا ولعلهما قصتان فعل هذه مرة وتلك اخرى فيه دهن المبقي
ما احسن اثارهم واخبارهم بعث بذلك الطبق وقال بلغني انك اهديت
الي حسناتك فاحببت ان اكافيك وذكر في الغيبة عبد الله بن المبارك رحمه الله
فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امي لانها احق بحسناتي ويحكى انه قال بهذا
مره وهكذا اكثر وذكر انه فات حاتم الاصم ليلة القيام فعيرته زوجته فقال
انا قوما صلوا البارحة فلما اصبحوا اغتابوا لو امنى فيكون صلاتهم
يوم القيامة في ميزاني وروي انه قال بعضهم لبعض الصالحين اغتابك
فقال ما بلغ من قدرك عندي ان اهدي لك حسناتي وذكر نحو هذا المعنى
الامام عز الدين في كتاب الرشاد وغيره من الائمة والزهاد **ورع قال**
بعض زهاد اهل البيت ومما قد علمنا مما يزجر المؤمن عن
ارسال لسانه وجه كافي وهو ان هذا المتكلم متى اغتاب الناس
فقد طرأ له بعض اخذه في نقصه ونسي النقص الاكثر وهو ان
قال لو احاط جميع ثوابه هذا في شأن من نحب الثواب فانظر كم بين النقص

وفي رسالة القشيري انما عبد الله بها الحق كفتنا نحن

ولو طلب هذا المتكلم منه من المتكلم ان يتصدق عليه بعشر ماله من الثواب
او بشعره نسي ما سمحت نفسه بذلك وقد سقط جميعه من يده وهو لا
يشعر انحطاطا عالكم وانتم لا تشعرون فحسن نعت السنين ما احطرها
بعد الانسان مكرما بثوابه ويقوم منها ما يعطيه فاخرس لسانك بطفه
بمنزلة المغربي **تتمة قال الامامي** قدس
الله روحه وما اسعد ان تكون الغيبة فسقا عند الله لكثرة ما ورد
فيها من الوعيدات الشرعية وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما النار
في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد فيها امر العبد بما ورد
به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك **نعم**
وقد ادعى في شرح الارشاد انها كبيرة بلا اجماع قال فيجعل على غيبة
العلماء والصلحاء لعموم البلوى بها فيلزم تفسيق اكثر الخلق وفي كلام
علمائنا ما يدل على هذا وقد قال ابن عساكر رحمه الله اعلم يا اخي
وفقنا الله واياك لمرضاته وجعلنا واياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته
ان لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك استار منتقصهم معلومة
وان من اطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت
القلب فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم **قال السيد السمهودي** رضي الله عنه ولا عقوبة
اعظم من موت القلب الذي هو مدرجة سلب الايمان المفضي للعذاب
السرمدي والعياذ بالله عز وجل انتهى قال بعض العلماء وان

الذي مات قلبه الخشوع ولا فيه المواعظ يصح وإذا تليت عليه آيات ربه
أصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم
وخطر عظيم جسيم جنى فاعله وران عليه دينه أسأل الله العافية
لي ولجميع المسلمين وأن يوفقنا لطاعته أجمعين وأن يجعلنا من الخاشعين
المعطين قال العلماء رضي الله عنهم إن الوقيعة في العلماء محرمة أشد
تحريم وألحقوها بالكبائر التي ترد بها الشهادات ويسقط بها الولاية
وهذا ما لم يقصد بذلك استهزاء فإن قصد به الاستهزاء بالعلم أو بالعلماء
أو بالشريعة الغراء أو بشيء من أحكام الدين فقد كفر بالله رب العالمين
وصار مرتدا تجري عليه أحكام المرتدين **قلت** أنا وإن ال[illegible]
أعظم الناس حرمة وأحقهم بالاحترام عالمهم آكد العلماء حرمة وجاهلهم
أعظم الجهال قدرا لأنهم بضعة من رسول الله ومن نسبه ولما ورد
فيهم ولله در بعض العارفين حيث يقول ما اعتقد زيه محمد صلى الله عليه وسلم محب
وقد حرم بعض العلماء سبهم وفاسقهم وقال بعضهم من دراهم
المخالفة فإنما بعض أفعاله لا ذاته فلا يبغض لأنها بضعة من رسول
الله صلعم **فائدة** قيل للفضيل رحمه الله إن سفيان بن عيينة
قبل جائزة السلطان فقال الفضيل ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا
به وعاتبه ولامه فقال يا أبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين
وقال كفى بالمرء إثما أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين ومعناه يقع
أي يعيبهم ليظهر للناس معايبهم **فرع** فإذا عرفت هذا الوعيد

الهول

الشديد وعلمت هذا الهول والتأكيد والزجر عن هذا الذنب الذي
لا يفيد ولا يجدي ولا يعيد فاترك ذكر العبيد واشتغل بذكر الله ثم
اشتغل بما فيك فإنه يصون بكفيك واحذر تحبط أسفارا في سموم
وحرور وصياما في حرور وصلوة في دجور وحجا مبرورا بكلام
لا يغنيك ولا يضر من قيل فيه واعلم أن الذي يذكره بالغيبة لا
يخلو من أن يكون صديقك أو عدوك أو لا أيهما إن كان حبيبك فلما
تنشر معايبه وتشهر مثالبه
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
وإن كان العدو الآخر فلأي مصيبة تمحو حسناتك وتهدم دينك
وتهدم بعينك وتهدي حسناتك لمن لا تحبه بكلام لا يضره بل ربما
نفعه لا حسنة أثبت ولا عدوا أكبت فلو تعرف حق العرفان لكنت
حقا صفر اليدين يحكي حنين فإن مثله الفراش يرمي بنفسه على
اللهب فلا هي أطفأت المصباح ولا سلم لها الروح والجناح بل أبت
منها حلا ومللا نسأل الله العافية لنا ولإخواننا والسلام **فصل**
ومن الزواجر العقلية عن هذه المصيبة البلية أنك
متى أطلقت لسانك في عيب الناس وعبتهم عابوك واغتابوك ومزقوا لك
عرضك فلك عيوب ولهم أعين وفيك ذنوب ومعهم ألسن وفي الحديث من
حفظ لسانه ستر الله عورته وروي عن بعض الحكماء أنه قال لا تسب
أخاك لأن عمره عما نسبته إليه كعمرك وعمرك كعمره وكما تكره أن

[illegible]

يذكر عيوبك فهو ايضا يكرهه فان ستره ستر الله عليك وان فضحه سلط
الله عليك السنة حداد المرجفون عرضك في الدنيا ثم يفضحك الله في الاخرة
على رؤوس الملا انها و ايضا فان الغائب جارية اي من عاب الناس عابوه
ومن اعابهم اعتابوه فكن على قرب مما قال ش

احب مكارم الاخلاق جهدي * واكره ان اعيب وان اعابا
واصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

وقال اخر

اذا انت عبت الناس عابوا واكثروا * عليك وابدوا منك ما كنت تستر

وقال اخر

عليك بنفسك فانظر كيف تصلحها * وخل عن عثرات الناس للناس
فالذم للناس كالمحصي معايبهم * والحمد عندهم للعاقل الناسي

اذا عرفت هذه العيوب العقلية والنقلية في هذه المعصية فاقول
يا للعجب بل يا للحزن والحزن بل يا اسفاه العلم والعقل والدين والادب ممن يعرف
هذه العيوب موجودة في الغيبة ويعلم انها تحبط حسناته ولا تفيد
شيا ولا تضر عدوه بل ينفعه لاسيما اذا علم وصبر واحتسب او فعل
مثل الحسن ومذهبه لحسن المذهب حيث اهدى طبق الرطب للذي اغتابه
وشتم ومع هذا يعلم ان الله تعالى يقول ولا يغتب بعضكم بعضا ثم يفعلها
ويقولها اعني الغيبة هل ذلك نقصان في عقد الايمان ام شك ما جا به

القران و ورد عن نبي عدنان فلكن من الكفران ام ذلك ممن يجحد
ايات الله هزوا واعظم منه غيبة بقراءة لك في المصحف ثم يغتاب فهذا
قريب مما قال رب كالذي للقران وهو يلعنه او قال يلعن نفسه قيل
كيف ذلك قال يقرا الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم واعظم من ذلك
انه يفعل الغيبة في مجالس العلم والعلم يقول في بعض الوضو ويبطل
ثواب العبادة والمصلي وامر احدها هزوا عادة ولا عليه يجب
الانكار على فاعلها ثم يفعلها بسمعه اللائق من اهل الايمان والواجب
ترك ما يضر بالدين ولو نفع في الدنيا فكيف بهذه التي تضر بالدين ضررا
عظيما ولا تنفع شيا ابدا ثم يفعلها ايها المسلم او الفقيه هل ايمانك
واهي فسد ام عقدك في فساد ام تمسك بالحجر ام انت ممن يجحد
ايات الله هزوا فاستغفر الله من ذلك اما علمت ما في القران من الزجر والتخويف
والردع والتكره والنهي والتشويه عن غيبة المسلم احيه ومع هذا
لو اتيت بلحمه من شاته غضبا لما اكلتها في الاغلب فكيف تحرم شاته
وما تحرم ذاته مع ان ضرر الغيبة اكبر ونفع لحم الشاه اكثر وعقلها
اصغر فتامل واحذر وانظر وتفكر وتعظ وتذكر ونبه عن هذا
الخطر في الدنيا والدين فات الموفق من يتنبه فانظر هذه المعصية التي لا نفع
فيها ما حوت من الضرر وما اشتملت عليه من الشر والذي ذكرت بعض ما
فيها ويبقى فيها اكثر واكثر في الدنيا وفي القبر والمحشر والساعة ادهى
وامر وتظاهرت على تحريمها وتقبيحها الادلة العقلية والشرعية

من الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المروية والكتب الفقهية
والأدبية **فائدة** وكما يحرم الغيبة يحرم سماعها ونظرها وحضورها
قال صلعم السامع للغيبة أحد المغتابين فيتوجه على حاضرها أن ينكرها
بلسانه في ابتدائها ويرد عن عرض أخيه المسلم وينصح المتكلم ويخرج
عن عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنية صالحة وعزيمة خالصة
لا يقصد بها رياء فالمرخص بها نوع تهوين ومداهنة وتلبيس فوجب ينكر بلسانه
فإن خاف فبقلبه إن الله عليم بذات الصدور **قال الغزالي**
ما معناه وقد يقول بعض القراء المرائين للمغتاب دع عنه الناس وهو
بقلبه غير كاره للغيبة إنما غرضه أن يعرف بالتورع وذلك لا يخرجه عن
إثم الغيبة فإن لم ينكرها بقلبه ويورط في إثم الرياء بل يخرج عن الإثم بأن يكرهه
بقلبه ويكذب المغتاب ولا يصدقه بقلبه لأنه فاسق يستحق التكذيب
والمسلم المذكور بالغيبة يستحق إحسان الظن به إياها فاحذر يا أخي
من هذه الآفات المذكورات واشرع في إنكارها أولها مع كراهة قلبك وعدم
الإطلاق وجهك ويسمعك ولا تتركه حتى يكمل الغيبة ثم ينكر ويعتقد قلبك [illegible]
أخوك ونفسك وربك وروي أن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه دعي إلى طعام
فلما أتاهم ذكروا أن فلانا لم يحضر فقيل إنه ثقيل فقال إبراهيم إنما فعل
في هذا بطني أن شهدت طعاما يغتاب فيه المسلمون فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام
أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والله فإن الموفق ينتبه وإن لم يكن
انتبه بالذي وعظت به فانتبه أنت به ويجب عليك أن ينكر غيبة كل مسلم معروف أو

قريبا وبعيد عدوا أم صديق قال النبي صلعم من ذب عن عرض أخيه في الغيبة
كان حقا على الله تعالى أن يعتقه من النار وفي رواية أخرى من رد عن عرض
أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية أخرى من اغتيب
عنده أخوه فاستطاع نصرته نصره الله في الدنيا والآخرة وإن
لم ينصره أدركه الله في الدنيا والآخرة وفي رواية أخرى لأبي داود
ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته
وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته وما
من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك
فيه من حرمته إلا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته انتهى ما نقلت مما
جاء عن النبي صلعم في هذا الموضع قيل وجدت في منطقة بزرجمهر من طلب
عثرات غيره هتك حجاب نفسه وقال إياك واستماع العيوب فإنه مما
يعض من نفسك ودنياك وآخرتك فإن استماع عيوب الناس أكثر من
العيوب ولا تستمع عيوب غيرك الناقص معيوب إذا عرفت هذا
هكذا فإن لم يمكنك ردها وإنكارها ولا قطعها بحديث آخر وجب عليك
القيام من موضعها فإن تعذر فشغل نفسك عن سماعها وروي أن
إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه حضر دعوة فاغتيب رجل فقال في بلادنا
يؤكل الخبز قبل اللحم وأنتم بدأتم باللحم مشيرا إلى قوله تعالى أيحب أحدكم أن
يأكل لحم أخيه ميتا **فرع** وإذا ارتكبت الغيبة أو فعلت شيئا مما
يوجبه كما تقدم فاحذر أن تذهب إلى الرجل المذكور بالغيبة أو غيبة

فيقول قال فلان كذا وكذا فانكرت عليه او نحو ذلك كقولك غضبت منها
وقمت عن مجلسها تكون بذلك مغتابا ونماما ومرائيا ومزكيا نفسه
ومبرئا مستصغرا وكل ذلك اخلاق ذميمة وممحقة لحسناتك وعين
من طاعاتك فاكتف بعلم الله وكفاية عليما **فصل** اذا قيل لك
اعتابك فلان فلا تصدق الناقل لانه نمام والنمام لئيم فسقه فكيف
يقبل نقله وروي ان بعض الامراء قال لبعض البلغاء بلغني عنك انك قلت كذا
وكذا فقال حاشا لا ايها الامير فيما يقول ان الثقة لا ينم فاحجم عنه
الامير وروي ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال لمن نم اليه ان كنت
صادقا كنت من اهل هذه الاية همّاز مشّاء بنميم وان كنت كاذبا كنت من
اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين وان شئت عفونا عنك ولا نعود فقال العفو يا امير
المؤمنين ولا اعود فافهم ذلك ولا تكن كثير التجسس والبحث عما قيل فيك
وتعزم لمن ينقل اليك ليشغل قلبك ويشغل فكرك ارح نفسك منهم العدو (او اذن)
ما استطعت فانه انما الذم واصح للدنيا وقد ورد في الحديث ما معناه
او لفظه انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يبلغني احد منكم عن اصحابي ما اكره فاني
احب ان اخرج اليكم وصدري سليم فاقتد بها النبي وتمسك بخلق المكرم
فانه نعم القدوة والملتزم صلى الله عليه وسلم لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اذا فرضت انه بلغك من
غير اختيار منك وصح عندك او سمعته باذنك من غير قصد استماع فلذلك

امور تهون عليك بعض ما تجد وتكسبك ان تعلق بها عظيم الثواب احدها
ان تنظر هل العيب الذي قال فيك فكيف تغضب ان يذكر بما فيك وتحب من
الناس ان يمدحوك بما ليس فيك وكيف تحزن من ذكر خلق رضيته لنفسك بل
اشتغالك بازالته اولى بك من اشتغالك بغضبك من المغتاب العياب و
منه معرفة عيوبك كما قال بعضهم وهل مثلك في ذلك الا مثل
كناس الكنف ملوث بالعذرة فيقال له يا كناس انك متلطخ بالعذرة
فاغسل ما بك منها فانه مما قال له وحمد على القايل ووالله ما قوم
ان المتلطخ في الذنوب لا يدري الا اشد من المتلطخ في العذرة واشر حالا من
الكناس فلم تأنف من ذكر ما فيك وقد استوجبت اللوم به سرا وجهرا
في الدنيا والاخرة **قلت** وقريب من ذلك قول من قال بيتا كان
اسفاعك بعد ومسنا حاربا كثر من صدق ومداهن ونحو ثم قال ۞
عذابي لهم نصل علي ومنة فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا ۞
هم بحثوا عن زلتي فازلتها وهم نافسوني فاجتنبت المعاليا ۞
هذا ان كان امرا كسبا او دنيا ما ثانيا وان لم يكن فيك فكيف تغضب بشي لا يحطك
فان عنده لا يتصل ولا يضرك بل وباله عليه والمعصر حج البيت
والامر كما قيل ۞
انا اناس اذا ما قلنا مدحت اعراضنا فهجينا لم نخف عارا ۞
ثم ان كان اعمامكم واهملكم لانك تغضب بكلامه عند الله سوفا كلامه
لا ينقصك عند الله تعالى بل يزيدك ويرفعك ولا يضرك بل يسعدك ولم يبع

من سبه عليك شيئا في دينك ولا دنياك وانت اصبح بعاملة الله بمن اياك عنا (
قبل فيك ويراهنك بما سبب لك وهو سبحانه لا يعاملك بكدر الكلام
ولا بعتبه للعتاب بل يعاملك ان ضروب على ذلك من المثابين وما
وجوبها ما له بعض العارفين رضي الله عنه في حكمه متى الملك عدم
اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان
كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود
الاذا منهم اسها **ثم اعلم** انك كنت تحب صبره ولم ترتق بك همتك الى مثل
علي بن الحسين رضي الله عنه اذ قال لمن شتمه وغابه ان كان ما ذكرته
فاستغفر الله والا فغفر الله لك ولا الى مثل الحسن اذ جاء رطب
رطب لمن اغتابه وسبه ولا لمثل ما روي عن ابي ضمضم كما جرى وروي عنه صلعم
انه قال كان ابو ضمضم يقول اذا اصبح اللهم اني تصدقت بعرضي على من ظلمني
وروي عنه صلعم اقرض من عرضك ليوم فقرك فان نزلت عن هذه المراتب
واحببت ضرر المغتاب فاعلم ان الضرر عاد اليه والاعتياب رجع عليه كما
تقدم فيما تقدم فهو كمن رمى بحجر كبير من اسفل بير فرجع الحجر عليه ضره
ومن لديه وانت وهو كما قال

اذا الشر كان سلاح الفتى فدعه وكله الى شره
وكم من سلل سهمه قاصدا اسواه فعاد الى نحره

فهو الذي خسر اذ حبط ثوابه ورجحت الثواب خصوصا بالصبر
والاحتساب في عدم مجازاته بالاعتياب وما نالك منه شي ويلعنه الله وصلح

باغتيابه
خلقه فيا عجبا لك كيف تحزن وياسوءاه كيف تسمح بثوابه بما تسعفه
والضرر لك ولقد اجاد المقري واوضح هذا المعنى وجلاه وعسله
وحلاه وصير المذكور بالعسه وسلاه وهجى على المغتاب فعله وقلاه حتى
صير الاغتمام من المغتاب طربا والعلقم ضربا وسخط هذا وعيبه ذاك
عجبا اذ كلامه ذهب مع الهامع الهبا وحسناته اهداها للمذكور
وهبا حيث قال

يبتاع كل المعاب في حسناته ويعطيك الجر اصومه وصلاته
فيا ايها المغتاب حدث فان لها ثواب زكوه او صلوه نهاته
فغير سعي من يسب عدوه تعامل عنه الله في خلواته
واعجب منه عاقلا بات ساخطا على رجل يهدي له حسناته
فكافيه بالحسنى وقل رب جازه بخير وكفر عنه من سيئاته

ثم اعلم ان هذا المعنى الذي ذكره المقري
من مصير حسنات المغتاب للمذكور قد ورد في الاخبار والاثار كما تقدم
وكذا روي في صحيح البخاري لنوح عليه واذا صح عن النبي صلعم فليس
لاحد بعده مقال فاحمع بحث الاطلاقات السنيه والاخبار المرويه
وليس على المتكلم بالزهد والمعاملة ان ياتي بالقواعد الكلاميه وما يوافق
الاصول الجدليه كما ذكر كذلك كثير في تصانيف الايمه وعلما الامه بل
يجد المتكلم لو اخذ يتكلم في فن الكلام تكلم وفي فن الفقه او الزهد
بخلافه ويتبع ما عند اهله فيه وقد ذكر في السلفية للحافظ السلفي

من اجى الى آخره وقال الامام في النصيحة المنهج الاول ان تعلم ان المعايب
بعرضه تسخط الله سبحانه وان تعلم انها تحبط حسناته وانها تنقل حسناته
الى من عابه عوضا عما هتكه من عرضه وهو معاد لك متعرض لمقت الله ثم
الغيبة وتشبيه عيب من يأكل الميتة وتنقيص الثواب في الاجر ونحو ذكر
الامام عز الدين في كتاب الارشاد وغيرهما من الائمة الزهاد
اتم الله علينا وعليكم بالتقوى والتبصرة والهدى وحسن العلانية
والسريرة وان قدرت على نفسك ان ترحمه وتستغفر له وتعلم انه نالك
بسيئة خير فلا يكون نصيبه منك الوزر وتحمله على قريب مما روي عن
ابراهيم بن ادهم انه سأله جندي عن المحلة فاشار الى المقبرة فضرب
رأسه حتى اوضحه فلما سار عنه قليلا قيل له انك ضربت زاهد
خراسان ابراهيم بن ادهم فرجع يعتذر اليه ويستحله فقال انك لما
ضربت عني سألت الله تعالى لك الجنة فقال ولم قال ابراهيم علمت اني
ماجور بسببك فكرهت ان يكون نصيبي منك الاجر ونصيبك مني الوزر
او كما قال وقيل لعمر بن عبد العزيز لقد اعابك فلان وجنى عليك قال
اياه فارحموا اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده واحذر يذهب الله
تقول له قيل لي او قال لي فلان قلبي كذا وكذا يكون ايضا انما ما
ومعنا باو عاصيا يحط نفسه او ان انه يلقاه بوجه مكفهر عابس وان
تصانع منه حبك بل القه بلسان دلق ووجه طلق وقلب سليم على
مثل ما قال

الق العدو بوجه لا عبوس به يكاد يقطر من ماء البشاشات
فاحزم الناس من يلقى اعاديه في جسم حقد وثوب من مودات

وقال الشافعي رضي الله عنه

اني احيي عدوي عند رؤيته كانه قد ملا قلبي مسرات

واذكر في غفلته الكلام مرضيا واشكر فانك بذلك تغلب الشيطان
وتخلق بخلق اهل الايمان وتعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واحذر ان تعوقك الشيطان
فتجزيه بالغيبة بالاغتياب وتطول بينكما الاسباب وتبطل عليكما جميعا
الفضل والثواب وتقول في كل مرة بعد اخرى وتحبط عليك ثوابا
واجرا وقد كان امكنك ان تقيد نفسك وربما هديته بصبرك وحسن
لسانك وسعة صدرك واما غيبتك له فانها تجريه عليك وتكون
كمن يطفي النار بالحطب فان غيبتك له اذا بلغته كانت في ثوائر الغيبة
اقوى سبب وصبرك وصمتك خير لك وله في دينكما ودنياكما واني حسب

خذ كلامي مجربا فامتحنه ولمن ان عقل اشكر به
طاعة الله خير ما لزم العبد فكن طائعا ولا تعصينه
ما هلاك النفوس الا المعاصي فتوق الهلاك لا تقربنه
ان شيئا هلاكك نفسك فيه ينبغي ان تصون نفسك عنه

باب في النميمة هي من اعظم

افات اللسان العظيمة ومن اسوأ الاخلاق الذميمة قال بعض العلماء

ويكفيك في قبحها ان الله سبحانه وتعالى ذكرها في وصف كافر حيث قال همّاز مشّاء بنميم
ولم يترك شيئا لكثرة وما ذاك الا من عظمها وعظم فسادها والنميمة هي
ان يسمع كلاما او يرى فعلا يكره الغير اظهاره عاده وسارع لحكايته شرعا
لم تقتضيه سواء كرهه المنقول اليه او عنه او غيرهما حتى لو رأى رجلا يخفي
ماله فذكره للناس كان نماما وروي ان فقيرا رفع رقعة الى الصاحب بن عباد
فيها ان فلانا مات وترك اموالا عظيمة ولم يكن له وارث الا صبي يعظم عليه
عن حفظه وكان النمام يريد من الصاحب اخذه او بعضه فوقع في قفا تلك
الرقعة النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله
والمال ثمّره الله والساعي لعنه الله ثم ارسلها الى مرسلها انتهى

قال في كتاب ادب الدين والدنيا واعلم ان من الصدق

ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرة ويزيد عليه في الاذى والمضرة وهو
الغيبة والنميمة والسعاية فاما الغيبة فانها خيانة وهتك ستر يحدثان
عن حسد وغدر واما النميمة فهي تجمع الى مذمة الغيبة رداءة وشرا وهي
الى لؤمها دناءة وغدرا ثم تؤول الى التقاطع بين المتواصلين وتباعد المتقاربين
وتباغض المتحابين وقد روي عنه صلعم انه قال الا اخبركم بشراركم قالوا
بلى قال شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرءاء العنت
وعنه صلعم ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون
كل قتات ملعون كل منان الشغار المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة
والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به واما السعاية فهي شر الثلاثة

لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولؤم النميمة التغرير بالنفوس والاموال والقدح في
المنازل والاحوال وفي قتيبة عنه صلعم انه قال الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع
فالديوث الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع هو
الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء سمي قلاعا لانه ياتي الرجل المتمكن عند الامير
فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه وقال بعض الحكماء الساعي بين منزلتين
قبيحتين اما ان يكون قد صدق فقد خان الامانة واما ان يكون قد كذب فقد خالف
المروءة وقال بعض الحكماء الصدق يزين كل احد الا السعاة فان
الساعي اذم ما يكون اذا صدق وقال بعض البلغاء النميمة دناءة
والسعاية رداءة وهما رأس الغدر واساس الشر فتجنب سبلهما واجتنب
اهلهما ووقع الفضل بن سهل على رقعة ساع سعى اليه نحن نرى قبول السعاية
شرا منها لان السعاية دلالة والقبول اجازة فما يعرف الساعي فانه ان كان
في سعايته صادقا كان في صدقه اثما اذ لم يحفظ الحرمة ويستر العورة انتهى
وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي رواية قتات رواه
البخاري ومسلم وابو داود والترمذي قال الحافظ عبد العظيم القتات
والنمام بمعنى واحد وقيل النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم
والقتات الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي مر بقبرين يعذبان فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير بلى انه كبير
اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الآخر فكان لا يستتر من بوله رواه
البخاري واللفظ له ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ورواه

ابن حريمة وبعدم تعسر وكثرة وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول
الله صلعم يقول النميمة والشتيمة والحمية في النار وعن ابي بردة رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلعم يقول ان الكذب يسود الوجه والنميمة من عذاب القبر
وعن ابي بكرة رضي الله عنه قال كنا نمشي مع رسول الله صلعم فمررنا على قبرين
فقام وقمنا معه فجعل لونه يتغير حتى رعد كم قميصه فقلنا ما لك يا رسول
الله فقال اما تسمعون ما اسمع قلنا وما ذاك يا رسول الله قال هذان رجلان
يعذبان في قبورهما عذابا شديدا في ذنب هين قلنا فيم ذاك قال كان احدهما
لا يستتر من البول وكان الاخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة فدعا
بجريدتين من جرائد النخل فجعل في كل قبر واحدة قلنا وهل ينفعهم ذلك قال نعم
يخفف عنهما ما دامتا رطبتين رواه ابن حبان في صحيحه قوله في ذنب هين
اي هين عندهما في ظنهما لا انه هين في نفس الامر فقد تقدم في حديث ابن عباس
قوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم بلى انه لكبير وقد اجمعت الامة على تحريم النميمة
وانها من اعظم الذنوب عند الله انتهى من الترغيب والترهيب وفيه عن عبد الرحمن
بن غنم يبلغ به النبي صلعم قال قال صلعم خيار عباد الله الذين اذا رؤوا ذكر
الله وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون
البرآء العنت وعن العلاء بن الحارث ان رسول الله صلعم قال الهمازون واللمازون
المشاؤون بالنميمة الباغون البرآء العنت يحشرهم الله في وجوه الكلاب وعنه
صلعم انه قال الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا
بلى قال اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر

ولكن تحلق الدين **نعم** فاذا عرفت هذا الزجر الزاجر عن هذا الذنب
المنكر الجائر مع انه في اكثر احواله جامع لخصيصة الغيبة والنميمة
فتجتمع فيه الويلات وتعظم فيه الهولات لاهوال ويعاقب عليه
العقابات المطولات فاترك قالت فلانة وقال فلان وفعلا كيت وكيت.
ثم هذا اللسان تصلح شانك في اطلاقه فساد اللسان واعلم
فان الموفق من تنبه واحذر ان تكون نماما او جليسا لنمام واحذر
منه ان تعقد لديك فانه سينقل عنك كما نقل اليك قال الشافعي
رضي الله عنه من نم لك نم عليك **واعلم** ان الصدق والنصح
العبد والنميمة وتركه النفس غالبا وقال بعضهم

قال رسول الله خير الورى لا يدخل الجنة قتات
وان شر الناس طرا لمن اصبح لحم الناس يقتات

تنبيه اما ما كان فيه حق لادمي يعوق بالسكوت وقد علمته
فلا يكون نميمة بل اظهاره حق وكذلك ما كان السكوت فيه يؤدي الى
وقوع منكر او فوت واجب او ضرر محتم وهو الذي اشرنا اليه في
التكميلة بقولي وسائغ اخفاؤه في الحديث عنه صلعم المجالس بالامانات
الا ثلاث مجالس سفك دم حرام او فرج حرام او اقتطاع مال بغير
حق رواه ابو داود

فصل ومن ذنوب اللسان وعيوبه
السباب والمنابزة بالالقاب والتعيير لادمي او دابة او غيرها
اعلم انه يحرم سب المسلم من غير سبب شرعي يجوز ذلك ويحرم تحريما مغلظا

ولله در من قال يحمل النمام عنك
هكذا مبلغك سوء الفعل كما عنه

ان تقول للمسلم يا كافر او يا يهودي وفي الحديث اذا قال الرجل لاخيه يا كافر
فقد باء بها احدهما فان كان كما قال والا رجعت عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلعم قال المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم
رواه مسلم وابو داود والترمذي وعن ابن مسعود انه قال قال رسول الله
سباب المومن فسوق وقتاله كفر رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن عمرو
ورفعه قال ساب المومن كالمشرف على الهلكة رواه البزار باسناد جيد وعن
عياض بن حمار رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله الرجل يسبني وهو دوني
اعلي باس ان انتصر منه قال المستبان شيطانان يتهاتران ويتسلطان
ويتكاذبان رواه ابن حبان في صحيحه وعن عبد الله رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلعم ما من مسلمين الا وبينهما ستر من الله وعن ابي جري جابر بن سليم
رضي الله عنه قال رايت رجلا يصدر الناس عن رايه لا يقول شيا الا صدروا
عنه قلت من هذا قالوا رسول الله صلعم قلت عليك السلام يا رسول الله قال لا تقل
عليك السلام عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك قال قلت انت رسول الله
قال انا رسول الله الذي اذا اصابك ضر فدعوته كشفه عنك وان اصابك عام سنة
فدعوته انبتها لك واذا كنت بارض قفر او فلاة فضلت راحلتك فدعوته
ردها عليك قال قلت يا رسول الله اعهد الي قال لا تسبن احدا فما سببت
بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة وقال لا تحقرن شيا من المعروف وان
تكلم اخاك وانت منبسط اليه وجهك ان ذلك من المعروف وارفع ازارك الى
نصف الساق فان ابيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فانها من المخيلة وان

الله لا يحب المخيلة وان امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه
فانما وبال ذلك عليه وفي رواية وان امرؤ عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه
فيه يكون وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيا فما سببت دابة ولا انسانا
قوله السنة العام المحيط الذي لم تنبت الارض فيه شيا
عليه لم يترك المخيلة بفتح الميم وكسر الخا المعجمة من الاختيال وهو الكبر
واستحقار الناس قال في الجامع الصغير وفي معنا اول هذا الحديث
قال العفيف عبد الله بن جعفر
لذ بالنبي اذا نابتك نائبة فعقدها برسول الله محلول
قال النووي ومن الالفاظ المذمومة المستعملة في العادة
قوله لمن يخاصمه يا حمار يا كلب يا تيس ونحو ذلك فهذا قبيح لوجهين احدهما
انه كذب والاخر انه ايذا وهذا بخلاف قوله يا ظالم ونحوه واما التنابز
بالالقاب فقد قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب قال شارح الحصن
انه المراد به السو الذي فيه ذم وشين واما اللعن فقد قال صلعم من لعن شيا
ليس له باهل رجعت اللعنة عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه
قيل وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه
فيسب امه وعن ابي الدردا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
ان العبد اذا لعن شيا صعدت اللعنة الى السما فتغلق ابواب السما دونها
ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تاخذ يمينا وشمالا

فان لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن فان كان اهلا والا رجعت الى قائلها
رواه ابو داود وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلعم يقول ان اللعنة اذا وجهت الى من وجهت اليه فان اصابت عليه
سبيلا او وجدت فيه مسلكا والا قالت يا رب وجهت الى فلان فلم اجد فيه مسلكا
ولم اجد عليه سبيلا فيقال لها ارجعي من حيث جئت رواه احمد وعن عمران
بن حصين رضي الله عنه قال بينما رسول الله في بعض اسفاره وامراة من الانصار
على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلعم فقال خذوا ما عليها
ودعوها فانها ملعونة قال عمران فكاني اراها الان تمشي في الناس ما يعرض لها
احد رواه مسلم وغيره وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلعم لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلوة رواه ابو داود وعن انس
رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلعم فلدغت رجلا برغوث فلعنها فقال
النبي صلعم لا تلعنها فانها نبهت نبيا من الانبيا للصلوة وعن علي رضي الله عنه
قال نزلنا منزلا فاذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله صلعم لا
تسبوها فنعمت الدابة فانها ايقظتكم لذكر الله قال شارح الحماية وحكم
الحشرية والمستقذرات بالحيوانات كما يحرم على ادم الا من ظهر عصيانه
نعم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا لعن الريح عند رسول الله صلعم
فقال لا تلعن الريح فانها مامورة ومن لعن شيئا ليس له باهل رجعت اللعنة
عليه رواه ابو داود والترمذي وابن حبان وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلعم قال الله تعالى يسب بنو ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار

وفي رواية اقلب ليله ونهاره اذا شئت قبضتهما رواه البخاري ومسلم
وغيرهما وفي رواية لمسلم لا يسب احدكم الدهر فان الله هو الدهر وعنه
قال قال رسول الله صلعم يقول الله يقول ابن ادم يا خيبة الدهر فلا يقل احدكم
يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره وفي رواية للحاكم قال رسول الله صلعم
يقول الله عز وجل استقرضت عبدي فلم يقرضني ويسبني عبدي وهو لا يدري
يقول وادهراه وادهراه وانا الدهر قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وروى
البيهقي ولفظه قال رسول الله صلعم لا تسبوا الدهر قال الله عز وجل
انا الدهر الايام والليالي لي اجددها وابليها واتي بملوك بعد ملوك قال
الحافظ عبد العظيم ومعنى الحديث ان العرب كانت اذا نزلت باحدهم
نازلة او اصابته مصيبة او مكروه يسب الدهر اعتقادا منهم ان الذي
اصابه فعل الدهر كما كانت العرب يستمطر بالانواء ويقول مطرنا بنوء
كذا اعتقادا ان ذلك فعل الانواء فكانه [illegible] كاللعن للفاعل ولا فاعل
لكل شيء الا الله خالق كل شيء وفاعله فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وكان ابو داود ينكر رواية اهل الحديث وانما الدهر بضم الرا ويقول لو
كان كذلك كان الدهر اسما من اسما الله تعالى وكان يرويه وانا الدهر اقلب
الليل والنهار بفتح را الدهر على الظرف معناه انا طول الدهر والزمان اقلب الليل
والنهار ورجح هذا بعضهم ورواية من قال فان الله هو الدهر يرد هذا والجمهور
على ضم الرا والله اعلم بادب في تعليم اذا اشتكى احد وشكى وغيره ولا يفعل
كفعله كما يعدم وعن ابن المسيب قال بينما رسول الله صلعم جالس ومعه اصحابه وقع

رجل بابي بكر رضي الله عنه فاذاه فصمت عنه ابو بكر ثم اذاه الثانية فصمت عنه
ثم اذاه الثالثة فانتصر ابو بكر فقام رسول الله صلعم وجدف على با
رسول الله فقال رسول الله صلعم نزل ملك من السما يكذبه بما قال لك فلما
انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان فلم اكن لاجلس اذ قعد الشيطان
رواه ابو داود هكذا مرسلا وقال صلعم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب **واعلم** انه اذا لم يقع عليك من شتمه
شي فلا تهتم بسبه ولا تغتم بشتمه وارجع الى علم الله فيك كما تقدم قال
الصادق رضي الله عنه لا يكون العبد عبدا خالصا حتى يصير المدح والذم
عنده سوا لان الممدوح عند الله لا يصير مذموما بذمهم وكذلك المذموم فلا
تفرح بمدح احد فانه لا يزيد منزلتك عند الله ولا يغنيك عن المحكوم لك والمكتوب
عليك وقد اشركته مع الله عز وجل ولا تحزن بذم احد فانه لا ينقص عنك به ذرة
ولا يحط عن درجتك شي واكتف بشهادة الله تعالى لك وعليك قال الله تعالى وكفى
بالله شهيدا ومن لا يقدر على صرف الذم عن نفسه ولا يستطيع تحقيق المدح
له كيف يرجا مدحته ويخشا ذمه فاجعل وجه مدحك وذمك واحدا وقف
في مقام تغنم به مدح الله عز وجل ورضاه فان الخلق خلقوا من العجز
ما مهين وليس لهم الا ما سعوا قال الله عز وجل ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا نشورا انتهى وقال بعضهم اذا كان قولهم لك انك نعم الرجل
احب اليك من ان يقال لك انك بئس الرجل فانت والله بئس الرجل وروي
ان بعضهم وقع في علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما فرغ قال ان كان ما

قلت فيّ فاستغفر الله وان لم يكن فغفر الله لك وقريب منه عن ابي الدردا ومثله عن
الشعبي **وقال** علي بن الحسين مرة اخرى الذي ستر من عيوبنا اكثر
مما ظهر او كما قال فحلق وافتدى هولا خيار الناس وقد قال صلعم افضل الفضائل
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك والمعنى في ذلك قوله
ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
ويدرون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار ولان الشتم يمحق الاجر والذكر ويفتح
ابواب الشر وعن مولانا علي وابي بكر ترك جواب الكلام لئلا اجاب بما اكره

اذا ما احدثت سفاهة السفيه فاني لعمري انا السفيه

وقيل للاحنف انك حليم قال لست بحليم ولكني اتحالم اي لا اسمع الكلمة فاحم
لها فاسعى عن الجواب عنها مخافة ان اسمع ما هو اعظم منها او كما قال وعن
بعض الحكما او العاقل الحلم فدام السفيه **تاديب** قال بعضهم ثق
بالله تغنم وتوكل على الله تعظم واصمت تسلم ولا تكسل تغنم ولا تكذب تاثم
ولا تصاحب سفلة تهم ولا تعص تغرم ولا تشتم تشتم فاسمع وافهم
اذا عودت لسانك البذا فلا تعود وعرف الشر قيل ومر عيسى على
قوم اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له في ذلك فقال كل ينفق
مما عنده قال بعضهم والشي لا يبدو الا بجنسه وانما بدا وانفق
وانك اذا عودت لسانك البذا والاذا تعود وعرف بالشر وما الجود وفي العاقل
وعن امرئ سال ابن عم رددتها تسالمه العمش طالبه عذرا

ما بت فيها واسطرت بها غدا ... لغل عدا سدى لمسطر امرا

نابرع ضغنا كامنا في فؤاده ... واقلم اظفارا اطال بها الحفرا

ولو اني اذ قال قلت مثلها ... ولم اعف عنها اورثت بيننا غمرا

ومن كلام بعضهم عصوك فسكل ولوا

وقال بعضهم

ولربما ابتسم الحليم من الاذى ... وفؤاده من حره يتأوه

وقال آخر

اذا شئت بدلت ربقة نعمة ... وما العيب الا ان تراني اشابهه

ولو اني ارضى بنفسي اهانة ... لمثلتها من شيمة الاحرار قبه

وقال غيره

مطايا الشيب السنه الليالي ... ونكرم عنه افواه الكرام

وقال

اذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من اجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن اني ... عييت عن الجواب وما عييت

ولكني رايت الصبر واحلا ... لعرضي ما تعيبت

وقال آخر

وذي سفه يخاطبني بجهل ... فاكره ان اكون له مجيبا

يزيد سفاهة وازيد حلما ... كعود زاد بالاحراق طيبا

فصل ومن معاصي اللسان العظام

الفاظ الكفر والردة ويحرم ان يقول ان فعلت كذا فانا يهودي او نصراني او بري من
الاسلام ونحو ذلك فانه ان اراد تعليق خروجه من الاسلام بذلك صار كافرا في الحال

وجرت عليه احكام المرتدين فان لم يرد ذلك لم يكفر لكن ارتكب محرما فيجب
عليه التوبة وهي ان يقلع في الحال عن معصيته ويندم على ما فعل
ويعزم ان لا يعود اليه ابدا ويستغفر الله ويقول لا اله الا الله محمد رسول
الله ذكر ذلك بعض العلماء وقال بعضهم يكفر مطلقا وقيل ان كان جاهلا
بحال حلفه وقيل ان حنث وهذه اخطار وقد روي عنه صلعم كما في الجامع

ومن الفاظ الردة ان يقول هو يستحل ما علم تحريمه نحو هو
يستحل امه او اخته او يقول الربا حلال او دين الكفار خير من دين
الاسلام او خصمه الله او زينه كذا من المخلوقات او يقول الله لا يسمعني
او استغفر الله قبل ان يصل اليه او يستهزئ بالقرآن او بالنبي او يجحد الجنة
او البعث او النار او يحقر شيئا من ذلك او يستهزئ باركان الدين كالصلوة
والصيام كما جرت عادة كثير من جهلاء العوام قال علماء الشافعية
او يقول لو اخذني الله بترك الصلوة في حال مرضي لظلمني ~~او يستهزئ باركان~~
~~الدين كالصلاة كما جرت عادة كثير من جهلاء العوام~~ ~~العلم~~ او كقوله ما
سمعنا او يحقر العلم كقوله مثل ان يقول قصعة ثريد خير من العلم او يجحد
آية من كتاب الله تعالى او حكمها او حديثا متواترا لا يحتمل التأويل نحو
ان يقول لا حق لامرأة او لا ميراث او يقول حكم المسح حلال ويستحله
ويطلبه او يقول لو يعني عرفت او والله لعطعنه فان هذا يكفر ويقول
الشريعة ظلم او باطل او يسبهما او يحقرها او كتابا من كتب الله او نبي
بلفظ يدل على استهانته بامر الله ورسوله قال بعضهم او يقول

وفي كرة الجماية لا يكفر ... اذا لم يقصد ... الرد صح

ولم يحل في شرعه عليه السلام لو شيا ما قد حل في شرع غيره صح

لست الا حلال لما علم تحريمه ضرورة او سكر حكما شرعيا معلوما من الدين ضرورة
كالصلوات او نحوها او يقول لو امرني الله بكذا ما فعلته او لو نادي به
ربك يامر الله تعالى ونحو ذلك او يقول لو يقول النبي بكذا ما صدقته او لو امرني
بكذا ما فعلت او لو يكون القبلة جهة كذا ما صليت او لو ترسل الله تعالى ولا
نبيا ما امنت به ونحو ذلك من الفاظ الاخلاف وكذا يقول ما جاز رمضان بهديه
او نحو ذلك مما اعتاد سخفا الناس نعوذ بالله من ذلك ونعوذ من ذلك والله اعلم
من يقول لو خرقت بالنار ما فعلت كذا او مما يوجب ونحب احسابه ومما يوجب الرده
والكفر الاشرهاقي امر غيره ان يرتد ويكفر كفر وخرج من الملة وكذا من اشار
على كافر بالاسلام او ساخرا وقال ابا خر الى بعد ساعة او مهلك حيرك ومثله
القاضي من اشار عليه ساحب التوبه فانه يعصي ويفسق ومما يوجب الحذر منه
اذا قيل للعبد اتق الله او خف الله او نحو ذلك فلا تكبر بل يتواضع ويستغفر الله
قال بعض العلما ويكره ان يقال للغضبان عند الغضب اذكر الله
خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر وكذا لا يقال له صل على النبي خوفا من هذا
قال بعض العلما ومن كفر مسلما موسنا كفر قبل مرارا وظاهر كلام الناس
ولو مرة ومن الفاظ الرد ان يقال قال الله كذا او قال النبي صلعم فيقول
المخاطب ولو قال لا امالي او نحو قال بعضهم ولو قيل افعل كذا فابيه
شيته قال لا افعل وان كان سنة ولعله يعني طهارة الاستحفاف والاستهانة
بالسنة ومن انواع هذا الباب من نحسبه في افواله وسؤاله بالسحرة من
اهل التنجيم ولست الكهانه فان فعلهم وسؤالهم مما جا النهي الشديد عنه كالذين

يقولون وقع كذا على كذا ويدعي انه يعرف السارق وموضع الضالة وكذا
من يقول مطرنا بنو كذا معتقدا والاسم مكروه قال صلعم من اتى كاهنا فصدقه
بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ومن اتاه غير مصدق له لم يقبل صلاته
اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر وفي رواية من اتى كاهنا فساله
عن شيء حجبت منه التوبة اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر وروي عنه
صلعم من اتى عرافا او كاهنا او ساحرا فساله فصدقه بما يقول فقد كفر
بما انزل على محمد وقال ليس منا من تكهن او تكهن له او سحر او سحر له فالحذر
من ذلك فانه لا يعلم الغيب الا من في السموات والارض الا الله ومن الكهانة
التنجيم للولايم والاسفار والحرث وقطع الاشجار وقوله براني رباخي
ممن اعتقد نفع ذلك وضره وسال عنه منجما او كاهنا فقد يكفر والمخبر
بذلك يضل ويضل ويحبط عمله ويكفر المخبر ان اعتقد

تنبيه

قال بعض العلما من تعلم السحر ليعرف ضرره جاز قال وقد قال الشاعر
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ۞ ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه
ولكن من يتعلم خوف الحكم يقع فيه

فرع

قال بعضهم بعض السحر يكون
بتلاوة ايات كهات وهي قوله تعالى قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله
لا يصلح عمل المفسدين سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم فوقع الحق
وبطل ما كانوا يعملون اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا
فالتقى الماء على امر قد قدر وينصرك الله نصرا عزيزا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله

فهو عزيز ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله
لكل شيء قدرا **فائدة** ومن نطق بكلمة الكفر ولا يدري ان يعرف انّ معناها
الكفر ولم يعتقد الكفر ولا لم يكفر بها مثل ذلك وعند بعض فقيه وعلى
هذا الاطلاق العامي لعوام هو يستعمل الكل الا يكفر به ونحوه لعدم معرفة
معناه قيل والعلما متفقون انه لا بد من معرفة المعنا وان اختلفوا هل
من شرطه ان يقصد المعنا ام لا **فصل** ومن آفات اللسان الكذب
والبهتان قال بعض العلما ومما ساكد النهي عنه والتحذير منه ما يقوله
العوام في هذه المكوس التي توجد ممن يبيع او يشتري ونحوها فانهم يقولون
هذا حق السلطان او عليك حق السلطان ونحو ذلك من العبارات المشتملة
على تسميته حقا او لازما ونحو ذلك وهذا من اشد المنكرات واشنع
المستهجنات حتى قال بعض العلما من سماها من سماها هذا حقا فهو كافر
خارج من ملة الاسلام والصحيح انه لا يكفر الا اذا اعتقد حقا مع علمه بانه ظلم
والصواب انه يقال فيه المكس او هدية السلطان ونحو ذلك **فصل**
ومن آفات اللسان الكذب والبهتان والاخلاف في الوعد وشهادة الزور
والحلف بالوعد ونحوه قال الله تعالى والذين لا يشهدون الزور وعدلها
سبحانه الشرك حيث قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور
حنفا لله غير مشركين به وعن ابي بكرة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلعم
فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلثا الاشراك بالله وعقوق الوالدين
الا وشهادة الزور او قول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يرددها حتى قلنا

ليته سكت كانهم طلبوا للنبي صلعم رواه البخاري ومسلم ومعنا قولهم ليته
سكت كانهم طلبوا للنبي صلعم ودعوا له شفقة من كثرة التكرير وعن انس قال ذكر رسول الله
قال ذكر الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال
الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور وقال شهادة الزور رواه البخاري
ومسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلعم لن تزول قدم
شاهد الزور حتى يوجب الله له النار وروي عنه صلعم انه قال ان الطير
لتضرب بمناقيرها وتحرك اذنابها من هول يوم القيمة وما يتكلم به
شاهد الزور ولا تفارق قدماه على الارض حتى يقذف في النار وعن
ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلوات الله وسلامه عليه من كتم شهادة
اذا دعي اليها كان كمن شهد بالزور **واما** ادلة الكذب ففي
القران الكريم ايات في النهي عنه وذمه قال تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنة الله
على الكاذبين انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وهو قبيح عقلا وشرعا
ومما يدل على تحريمه وذمه من الحديث قوله صلعم الا ان الكذب يسود
الوجه وفي حديث لا يزال العبد يكذب ويتحرا الكذب فيكتب في قلبه
نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين وقال صلعم لا
يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك الكذب في المزاح وروي عنه صلعم من قال
لصبي تعال هاك ثم لم يعطه شيئا فهي كذبة وعن عايشة رضي الله عنها قالت
ما كان من خلق ابغض الى رسول الله صلعم من الكذب ما اطلع على احد من ذلك بشي
فيخرج من قلبه حتى يعلم انه قد احدث له توبة وروي انه قال صلعم [illegible]

ان حدث اخاك بحديث هو لك مصدق وانت له كاذب وعن مولانا علي كرم
الله وجهه لا تصحب الكذاب فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك
القريب وعن بعضهم كل كلام دخله الكذب فاعرض عنه واستوحش منه
فالكذب مرذول مذموم صاحبه في كتاب الله وسنة رسوله واجماع المسلمين
وعرف الناس وفي الكذب امور كثيرة واخبار يطول شرحها والكذاب يسعى
نصحا ادبك الحديث ولا تحدث بما تحدث به فمن حدث عن كذاب
وقع في الكذب ولا تجعله لك جليسا فانه اضر من النمام يفتري عليك
زور الكلام وقد قالوا ٥ لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة ٥
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة
تنبيه على الصدق والكذب في خلاف الاخبار الماضية كما ان الخلف
والوفا يدخلان المواعد المستقبلة **تخر** قال الجاحظ
لم يكذب احد قط الا لصغر قدر نفسه عنده **قال** في ادب الدين
والدنيا قال ابن عباس ولا تلبسوا الحق بالباطل اي تخلطوا الصدق
بالكذب وقال بعض الحكما الخرس خير من الكذب وصدق
اللسان اول السعادة ودواعي الكذب منها اجتلاب النفع ودفع الضر
فيظن الكذاب ان الكذب اسلم واغنم فيرخص لنفسه في الكذب فيه
اغترارا بالخدع واستشفافا للطمع وربما كان الكذب ابعد لما يامل
واقرب لما يخاف لان القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنا من
الشوك العنب او هل يجنا من الكرم الحنظل وقد روي عن النبي صلى

الله والتحروا الصدق وان رايتم فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا الكذب
وان رايتم فيه النجاة فان فيه الهلكة وقال الجاحظ الصدق والوفا
توامان والصبر والحلم توامان فيهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا واضداد
هن سبب كل فرقة واصل كل فساد **ومنها** ان يوثر ان يكون حديثه
مستعذبا وكلامه مستظرفا فلا يجد صدقا يعذب ولا حديثا يستظرف فيستحلي
الكذب الذي ليس غرائبه معوزة ولا طرائفه متعذرة **ومنها**
ان يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه بقبائح يخترعها عليه ويصفه
بفضائح ينسبها اليه ويرى ان معرة الكذب غنم وهذا اسوا حالا من النوعين
الاولين لانه قد جمع بين الكذب المعر والشر المضر ولذلك ورد الشرع برد شهادة ٥
العدو على عدوه **ومنها** ان تكون دواعي الكذب قد ترادفت
عليه حتى الفها فصار الكذب له عادة ونفسه اليه منقادة حتى لو رام مجانبة
الكذب عسر عليه لان العادة طبع ثان وقد قالت الحكما من استحلى
الكذب عسر فطامه **واعلم** ان للكذاب قبل خبرته امارات دالة
عليه فمنها انك اذا لقنته الحديث تلقنه ولم يكن بين ما لقنته وبين ما اورده ٥
فرق عنده **ومنها** انك اذا شككته فيه تشكك حتى يكاد
ان يرجع فيه ولولاك ما خالجه الشك فيه **ومنها** انك اذا رددت
عليه قوله حصر وارتبك ولم يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين
ولذلك قال علي بن ابي طالب الكذاب كالسراب **ومنها** ما يظهر
عليه من ريبة الكذابين وينم عليه من ذلة المتهومين لان هذه الامور لا يملك الانسان

دفعها عن نفسه لما في الطبع من استثقالها ولذلك قالت الحكماء العنان انم
من اللسان وقال الشاعر

تود بكل اعينهم ما في صدورهم ان العيون تودي سرها النظر

فاذا وسم بالكذب نسب اليه شوارد الكذب المجهولة واضيف الى
اكاذيبه زيادات مفعولة حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرة
الكذب منه ومضرة الكذب عليه وقد قال الشاعر

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه ما ان سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه

ثم ان عرا الكذوب تهم وان جاءت الكذب اكذب حتى لا يعتقد له حديث مصدق
ولا كذب مستنكر وقال الشاعر

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكد يصدق في شيء وان كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ اذا كان حاذقا

وقد وردت السنة بارخاص الكذب في الحرب واصلاح ذات البين
و[على] الاهل لكن قيل على سبيل التورية والتاويل دون التصريح به وذلك كما
سبيل علمه وقد نظر في بدر او انهزم عن اصحابه فقال له رجل ممن انت فقال من
ماء فورى عن الاخبار بنسبه بما ستر محمما وظن السائل انه عنى القبيلة المسماة به
الى ذلك وانما اراد عليه الصلاة والسلام الماء الذي يخلق منه الانسان
فبلغ ما احب من اخفاء نسبه وصدق في خبره وقد روي عنه صلعم انه قال
ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وقال عمر بن الخطاب ان في المعاريض
ما يكفي ان يعف الرجل عن الكذب وقال ابن سيرين الكلام اوسع من ان يصرح بالكذب

وقيل الاحب التعريض في هذه المواضع الجائزة **واعلم** ان من الصدق
ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرة ويزيد عليه في الاذى والمضرة وهو الغيبة
والنميمة والسعاية وقد ذكر في مواضعها **ثم** ومن الصدق المنهي عنه
الاخبار بالمعاصي ولو من العاصي حيث لا مصلحة ولا تعلق به حق للغير
وتوجه النهي عن ذلك انما ليستحسن التحدث بها للناس والمضي في اكثر
الاحوال الى ذلك من المجاهرة وتهوين المعاصي على قلوب السامعين

فصل قال بعض العلماء يكره للانسان اذا ابتلي بمعصية ونحوها
ان يخبر غيره بذلك بل ينبغي ان يتوب الى الله تعالى ويقلع في الحال ويندم
على ما فعل ويعزم على ان لا يعود الى مثلها فان اخبر بمعصيته شيخه او شبهه ممن
يرجو باخباره ان يعلمه مخرجا من معصيته او يعلمه ما يسلم به من الوقوع
في مثلها او يعرفه السبب الذي اوقعه فيها او يدعو له او نحو ذلك فلا باس به
وانما يكره اذا انتفت هذه المصلحة **واما** خلف الوعد فيكفي فيه قوله صلعم علامة
المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل الجبلة عن
تهذيبا وشرعا ما كرمه وانا ... واستعار ... في مسوّر الحكم من دلائل الشرف
حسن العهد وصدق الوعد ومن دلائل اللوم نقض العهود واخلاف
الموعود وقد قيل الوعد نخلة والانجاز ثمرته ووعد الكريم الزم من دين الغريم
ووعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطول وتاخير ...
... قال بعض العلماء واما المستثنى من الكذب
فقد روي في صحيح البخاري عن ام كلثوم رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلعم

يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا او يقول خيرا وزاد مسلم في رواية
له قالت ولم اسمعه يرخص في شي مما يقول الناس الا في ثلاث تعني الحرب والاصلاح
بين الناس وحديث الرجل امراته والمراة زوجها فهذا الحديث صريح في اباحة بعض
الكذب للمصلحة وقد ضبط العلما ما يباح منه فاحسن ما رايته في ضبطه
ما ذكره الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله فقال الكلام وسيلة الى المقاصد
فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه
حرام لعدم الحاجة اليه وان امكن التوصل اليه بالكذب ولم يمكن بالصدق
فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود
واجبا فاذا اختفا مسلم من ظالم وسال عنه وجب عليه الكذب باخفايه وكذا
لو كان عنده او عند غيره وديعة وسال ظالم عنها يريد اخذها وجب عليه الكذب
باخفايها حتى لو اخبره بوديعة عنده فاخذها الظالم قهرا وجب ضمانها على
المودع المخبر ولو استحلفه عليها لزمه ان يحلف ويوري في يمينه فان حلف ولم يور
حنث على الاصح وقيل لا يحنث وكذا لو سال فاجر عن امراة يريد الفجور بها او امرد
وانت تعلم موضعهما وجب عليك الكذب هنا وكذا لو كان المقصود حرب او اصلاح
ذات البين واستمالة المجني عليه والعفو عن الجناية لا يحصل الا بالكذب فالكذب
ليس بحرام وهذا اذا لم يحصل الغرض الا بالكذب والاحتياط في هذا كله ان يوري
ومعنى التورية ان يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا
بالنسبة اليه وان كان كاذبا في ظاهر اللفظ ولو لم يقصد هذا بل اطلق عبارة
الكذب فليس بحرام في هذه المواضع قال ابو حامد وكذا كلما ارتبط

به غرض صحيح له او لغيره فالذي له مثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله
لياخذه فله ان ينكره او يساله السلطان عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها
فله ان ينكرها فقد اشتهرت الاحاديث بتلقين الذين اقروا بالحدود الرجوع عن الاقرار
واما غرض غيره فمثل ان يسال عن سر اخيه فينكره ونحو ذلك فينبغي ان ينظر
بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق فان كانت المفسدة في
الصدق اشد ضررا فله الكذب وان كان عكسه او شك حرم عليه الكذب
ومتى جاز الكذب فان كان المبيح غرضا يتعلق بنفسه فيستحب ان لا يكذب ومتى
كان متعلقا بغيره لم تجز المسامحة بحق غيره والحزم تركه في كل موضع ابيح
الا اذا كان واجبا قال ومذهب اصحابنا ان الكذب هو الاخبار عن
الشي بخلاف ما هو سوا تعمدت ذلك ام جهلته لكن لا تاثم في الجهل
ودليلهم تقييد النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار

باب التعريض والتورية

اعلم ان هذا الباب من اهم الابواب فانه مما يكثر استعماله وتعم به
البلوى فينبغي لنا ان نعتني بتحقيقه وينبغي للواقف عليه ان يتامله ويعمل
به وقد قدمنا ما في الكذب من التحريم الغليظ وما في اطلاق اللسان من الخطر
وهذا الباب طريق الى السلامة من ذلك حيث جاز وحسن
واعلم ان التورية والتعريض معناهما ان تطلق لفظا هو ظاهر في معناه وتريد
به معنا اخر يتناوله ذلك اللفظ ولكنه خلاف ظاهره وهذا ضرب من
التغرير والخداع قال العلما فان دعت الى ذلك مصلحة شرعية

راجحة على خداع المخاطب او حاجة لا مندوحة عنها الا بالكذب فلا باس
بالتعريض وان لم يكن شيء من ذلك فهو مكروه وليس بحرام الا ان يتوصل به الى اخذ
باطل او دفع حق فيصير حينئذ حراما هذا ضابط الباب فاما الآثار الواردة
فيه فقد جاء في الآثار ما يبيحه ومنها ما لا يبيحه وهي محمولة على هذا التفصيل
الذي ذكرناه فمما جاء في المنع ما رويناه في سنن ابي داود باسناد فيه ضعف
لكن لم يضعفه ابو داود فيقتضي ان يكون حسنا عنده عن سفيان بن اسيد
الحضرمي قال سمعت رسول الله صلعم يقول كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك
به مصدق وانت له به كاذب وروينا عن ابن سيرين رحمه الله انه قال الكلام
اوسع من ان يكذب فيه ظريف مثال التعريض المباح ما قاله النخعي
اذا بلغ الرجل عنك شيئا قلته فقل الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيتوهم
السامع النفي ومقصودك الله يعلم الذي قلته وقال النخعي ايضا لا تقل
لولدك اشتري لك سكرا بل قل ارأيت لو اشتريت لك سكرا وكان النخعي اذا
طلبه رجل قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد وقال غيره خرج ابي في وقت قبل
هذا الوقت وكان الشعبي يخط دائرة ويقول للجارية ضعي اصبعك
فيها وقولي ليس هو هنا ومثل هذا قول الناس في العادة لمن دعاه لطعام انا
على نية موهم انه صائم ومقصوده على نية ترك الاكل ومثله ابصرت فلانا فيقول
ما رأيته اي ما ضربت رئته ونظائر هذا كثيرة ولو حلف على شيء من هذا وورّى
في يمينه لم يحنث سواء حلف بالله او بالطلاق فلا يقع عليه طلقة ولا غيره
وهذا اذا لم يحلفه القاضي في دعوى فان حلفه القاضي في دعوى فالاعتبار

بنية القاضي اذا حلفه بالله تعالى فان حلفه بالطلاق فالاعتبار بنية
الحالف لانه لا يجوز للقاضي تحليفه بالطلاق فهو كغيره من الناس والله سبحانه اعلم
قال الغزالي ومن الكذب المحرم الذي يوجب الفسق ما جرت به
العادة في المبالغة كقوله قلت لك مائة مرة وطلبتك مائة مرة ونحوه فانه لا يراد
به تفهيم المرات بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا
فان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لم يأثم وان لم يبلغ مائة مرة وبينهما
درجات يتعرض المبالغ للكذب فيها **قلت** ودليل المبالغة وانه لا يعد
كذبا قوله عليه السلام اما ابو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه واما معاوية
فلا مال له ومعلوم انه كان له ثوب يلبسه وانه كان يضع العصا في وقت النوم
وغيره وبالله التوفيق انتهى وهو كلام حسن يوافق الاقوله وان لم يكن شيء
من ذلك فهو مكروه وليس بحرام فان فيه تغريره معلما اراه ارجح
وهو ان التورية هنا حرام لوجوه منها انه يحمل الغير على اعتقاد الجهل
وربما كان خديعة وخدعة وهما في معان شنيعة ونصب وتعب للسامع
ومنها انه شبها قال بعض العلماء تتهم بالكذب وليس له ذلك لان دفع
التهمة عن النفس واجبة ولي انه لا يحسن الا الغدر وبيان انه يعجب ورغب
السامع وسعى انه لو قيل الرجل صدوق لا حرما لكذب وافوكه نوفي
الا رعاه وقد ذكر بعض العلماء ان من نطق بكلمة الكفر وزعم انه اضمر تورية
كفر ظاهرا وباطنا وقال شارح المبارق في قوله تعالى لا تقولوا راعنا الاية
يوجد منها انه لا يجوز اطلاق الالفاظ الموهمة باشتراكها ونحوها وغير ذلك

لكن يعلم ترجيح الجواز وقد قال الغزالي يباح المعاريض لغرض صحيح كقوله صلعم
لا يدخل الجنة عجوز وحمله على ولد البعير وفي عين زوجك بياض ومثل ذلك
مع النساء والصبيان لتطييب قلوبهم بالمزاح انتهى فيحصل ان ذلك يباح على
الاطلاق والظاهر اشتراط الباطن حصول غرض صحيح وبعد على الشافعي
والله اعلم ثم حفظ الحديث الوعد وافضل الجود انشاء من غير مسالة ثم تقديم

واما خلف الوعد

فيكفي فيه قوله صلعم علامة المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وكفى بها زجرا
وترهيبا لمن يره وانا زوا شعار شره وفي منثور الحكم من دلايل الشرف حفظ العهد
وصدق الوعد ومن دلايل الدناءة نقض العهود واخلاف الموعود وقد قيل
الوعد نامله والانجاز فريضة ووعد الكريم الزم من دين الغريم ووعد الكريم نقد
وتعجيل اللئيم وعد والمسول حر حتى يعد ومسترق حتى ينجز وخلف الوعد
خلق الوغد وافضل الجود الانشاء من غير مسالة ثم تقديم العطية على الموعد
قال الشاعر ❀ وحال لعطايا بكدر وعد فليس له انجاز وعد واخلف ❀
وعن بعضهم لان اموت عطشا احب الي من اخلف وعدا ❀ اذا عرف هذا ووعد
احدا الى موضع فلا يتاخر عنه وروي ان النبي اسمعيل صلى الله عليه وسلم اسطر
رجلا وعد في موضع سنة قال يعلى انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا
وورد في بعض اخبار عن النبي صلعم انه قال اذا وعدت احدا اسطرته
الى وقت الصلاة الى يغيب وان وعدته بمال وفى بها فلت قال الحر يفي بما قال ❀ وقد قال ❀
ولا اقول نعم يوما فاتبعها لا ولو ذهبت بالمال والولد ❀

ويسعى ان يعلل من المواعيد جهدك فهذا امر المسترشدون ويرشد الحازمون

فصل ومن ذنوب اللسان وعيوبه التسارع

الى الهوى الفتوى والاجابة عن كل سوال واعتراض اقوال العلما من غير كمال بلا
والقياس بلا اله وروي عنه صلعم اجراكم على الفتيا اجراكم على النار والعلم
ثلثة كتاب وسنة ولا ادري فانها ثلث العلم وهي جنة العالم وما اضركم
اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم قال بعضهم من رايته مجيبا
عن كل ما سئل معبرا عن كل ما علم فاسدل بذلك على وجود جهله وعنه
صلوات الله عليه من افتى بغير علم كان اثمه على من افتاه وعن مولانا علي
رضي الله عنه اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها اباط الابل كانت لذلك اهلا
لا يرجون احدكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحيين احدكم اذا سئل
عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحيين احدكم اذا علم لم يعلم الشي ان يتعلمه
وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالراس من الجسد ولا خير في جسد لا راس
معه ولا في ايمان لا صبر معه وقال بعضهم ❀
❀ ومن كان يهوى ان يرا متصدرا ❀ ويكره لا ادري اصيبت مقاتله ❀
وعن بعضهم لا ادري نصف العلم قيل وينبغي للعالم ان يورث اصحابه لكثرة
ما يقولها قال محمد بن عبد الحكم سالت الشافعي عن المتعة كان فيها طلاق وميراث
او نفقة تجب او شهادة فقال والله ما ادري

واعلم

ان قول المسول
لا ادري لا يضع قدره كما يظنه بعض الجهال لان المتمكن لا يضره عدم معرفة
بعض المسايل بل يرفعه قوله لا ادري لانه دليل على عظم محله وقوة دينه وتقو

زينته وطهارة قلبه وكمال معرفته وحسن نيته وانما يانف من قول لا ادري

ديانته وقلة معرفته لانه يخاف من سقوطه من اعين الحاضرين ولا يخاف سقوطه

من نظر رب العالمين وهذا لجهالته ورقة دينه وربما يشتهر خطاؤه بين الناس

فيقع فيما فر منه ويتصف عندهم بما احترز عنه قال في المقاليد في قوله تعالى

قل الله اذن لكم ام على الله تفترون قال وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا

عن التسارع الى الفتوى بغير تحقيق وعن التساهل فيما يسال عنه من الاحكام

وباعثة على وجوب الاحتياط في ذلك وان لا يقول احد في شيء هو جائز او غير جائز

الا بعد اتقان فلا يحل الاقدام على التحليل والتحريم بغير تحقيق ومن لم يتحقق

فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله سبحانه وعنه صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات

ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم يعني من يتكلف ما ليس من اهله اصلا

وعن مولانا علي كرم الله وجهه من افتى الناس بغير علم لعنته السماء والارض وقال الشاعر

ونفسك فاحفظها عن الغي والردى اذا شاعوها يغوا الذي بك يقتدي

نعم واذا اشتبه لديك البحث والنظر فان وضح لك امر بعض من تعتبر نصه

او قياس من اهله والا فلا تبت حكمك وقل لا ادري وعن مالك

انه سئل عن ثمانية واربعين مسالة فاجاب عن اربع وقال في الباقي الله اعلم وكان

الائمة عليهم السلام يتوقفون عن اكثر المسائل بل والانبياء صلوات الله عليهم وربما

سئل جبريل عليه السلام فيقول الله اعلم حتى اسال العالم كما في سؤاله صلى الله عليه وسلم عن افضل

البقاع فكيف بك يا مسكين تحاشى عن لا ادري ولم يتحاش منه جبريل صلى الله عليه وسلم والانبياء

والائمة والعلماء قيد قال بعضهم من افتى على الغرر فهو ثور وعن السلف

حق على العالم ان يورث جلساءه لا ادري واما اعتراض عبارات الكتب بلا كلال

فهو من سفه الجهال ذوي التكلف والتصلف قال بعضهم

اخا العلم لا تعجل بعيب مصنف ولم تتيقن زلة منه تعرف

فكم افسد الراوي كلاما بعقله وكم حرف المنقول قوم وصحفوا

وكم مصلح اصلح لفظا مغيرا وحاشيه لم يدر ما المصنف

واما القياس من غير استكمال الالة والادوات فما اخطرها من محنة ومن ابتدع

ما لم يرد به اثر كان مفتريا على الله واعظم خطرا نسال الله التوفيق

فصل في مراقات اللسان المراء والجدال

والخصومة قال الغزالي المراء طعنك في كلام الغير لاظهار خلل

فيه لغير غرض سوى تحقير قائله واظهار مزيتك عليه قال واما الجدال

فعبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها واما الخصومة فلجاج في الكلام

ليستوفي به مقصود من مال او غيره وتكون تارة ابتداء وتارة تكون اعتراضا

والمراء لا يكون الا اعتراضا هذا كلام الغزالي قال بعض العلماء

واعلم ان الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال تعالى ولا تجادلوا

اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فان كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره

كان محمودا وان كان في مدافعة الحق او كان جدالا بغير علم كان مذموما وعلى

هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في اباحته وذمه قال بعضهم

ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب

من الخصومة فان قلت لا بد للانسان من الخصومة لاستيفاء الحقوق فالجواب ما اجاب

للامام الغزالي ان الذم المتأكد انما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضي
فانه يتوكل في الخصومة قبل ان يعرف الحق في اي جانب هو فيخاصم بغير علم ويدخل
في الذم ايضا من يطلب حقه لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب
وكذلك من خلط في الخصومة كلمات تؤذي وليس له اليها حاجة في تحصيل حقه
وكذلك من حمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم
واما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج
من غير قصد عناد وايذاء ففعله هذا ليس حراما ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا
لان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر
وتهيج الغضب فاذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما
بمساءة الآخر ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن خاصم فقد تعرض لهذه
الآفات واقل ما فيه اشتغال القلب حتى انه يكون في صلاته وخاطره معلق
بالمحاجة والخصومة فلا يبقى حاله على الاستقامة والخصومة مبدأ الشر
وكذا الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح عليه باب الخصومة الا لضرورة لا بد منها وعند
ذلك يحفظ لسانه وقلبه عن آفات الخصومة وروينا في كتاب الترمذي قال صلعم
كفى بك اثما ان لا تزال مخاصما **قلت** قال بعض العلماء ولو نحو ما تعرض من
الآفات المتقدمة وعنه صلعم دع المراء لقلة خيره وعنه صلعم انه قال انا
زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا قال الحسن بن علي رضي الله عنهما
الصمت ستر العرض وسئل عن الصمت فقال فاعله في الجنة وجليسه في راحة
فقيل له ما تقول في المراء فقال يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة

فقيل له اي شيء ادنى ما له فقال التحاج والغضب قال الصادق رضي الله عنه
المراء لا يبقى في الانسان شيئا منه وهو خلق ابليس لعنه الله وسنته فلا تمار
في اي حال من كان جاهلا بنفسه وبغيره روي ان رجلا قال للحسين بن علي عليهما
اجلس حتى اناظرك فقال له يا هذا انا بصير بديني مكشوف علي هداي فان كنت
جاهلا بدينك فاذهب فاطلبه مالي وللمماراة ان الشيطان ليوسوس للرجل
ويناديه ويقول له ناظر الناس في الدين كيلا يظنوا بك العجز والجهل ثم المراء
لا يخلو من اربعة اوجه اما ان تماري انت وصاحبك بما تعلمانه فقد تركتما
بعد ذلك النصيحة وطلبتما الفضيحة واضعتما ذلك العلم او تجهلانه فاظهرتما جهلا
وخاصمتما جهلا او تعلمه انت فظلمت صاحبك بطلبك عثرته او يعلمه صاحبك
فتركت حرمته ولم تنزله منزلته وهذا كله محال فمن انصف وقبل الحق وترك المماراة
فقد اوثق ايمانه واحسن دينه وصان عقله انتهى وقال الشاعر

إياك إياك المراء فإنه ... إلى الشر دعاء وللشر جالب

وقال ابن الاديب

وما ناظر احدا في مذهبه ... كل له عقيدة يذهب به
خل المراء فهو موجد الغضب ... وربما اشعل جمرا اذا التهب

تنبيه قال بعض العلماء وليس كل مراء وجدال مذموما
وفيه ما يحسن وان المناظرة تشحذ الفطن وتظهر من نتائج الفكر ما بطن وقد
قال بعضهم لا يغفل حذر المراء من حسن المناظرة فان المماري هو الذي يريد
ان لا يتعلم منه احد ولا يرجو ان يتعلم من احد والمناظر القاصد لدفع

ما يورد عليه من صحيح او فاسد وليس المماري المناظر طلبا للصواب وقال بعض
العلماء اعقل الملك بن المناظرة فيعود عقيبها ولا يعود طفل من المناظرة مضر شقيها
اذا عرف هذا هكذا ونعرف عيوب المناظرة المذكورات وجادلت لاظهار الحق واسماء ربه
من نطق بجهله او من امر الشرع بحدا له فعليك بلزوم اداب الجدال منها النية الصالحة
لله ولاظهار الحق ومنها ان يترك الصخب والصياح والضحك وحركة الاعضاء لكل او بعضها
ومنها الانصاف والانصات والتدبر لما يقول ويقول مناظرك ولا يقطع عليه كلامه قبل
تمامه وان ظهر الحق فيما قلت فلا تطاول ولا تعجب ولا تكبر بصحة ما قاله وتكرر بصحة
ذكر ما كان عليه وان ظهر الصواب فيما قال فاسرع الرجوع اليه والشكر له فمن لم
يرجع الى الحق تكبرا ولا يستحي ويخجل فانه فرع على اعتقاد كل انك تعلم اكثر المعلوم
والمتعلم كونه اصغر منك سنا او اخمل جاها او اقل علما ويرجع الى كلامه واقبل
الحق من اتيها ورد من صديق وعدو وقيل كما قال بعض العلماء وقد ظهر لي
الصواب في مواحصمه ليس بيني وبين الحق عداوة واحسن من قال

اذا افادك انسان بفائدة من العلوم فاكثر شكره ابدا
وقل فلان جزاه الله صالحة افادنيها وخل الكبر والحسدا
فالحر يظهر شكرا للمفيد له خيرا ويذكره ان قام او قعدا

وربما يطلع قليل العلم على شيء لم يطلع عليه كثير العلم وقد يخفى على الانبياء صلى
الله عليهم والخلفاء رضي الله عنهم بل كانوا يامرون الناس بنصحهم فيما
اخطاوا فيه قال مولانا علي كرم الله وجهه لاصحابه لا تخالطوني بالمصانعة
ولا تظنوا استثقالا للحق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق

ان يقال له او العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفوا عن مقالة
حق او مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ فيه ولا امن ذلك من فعلي
الا ان يكفي الله من نفسي ما هو املك به مني انتهى فانظر كم جمع هذا الكلام من فوائد
في هذا الباب وهذا كلام باب مدينة العلم فكيف غيره وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
ان احسنت فاعينوني وان اسات فقوموني وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر ايها
الناس ردوا الجهالات الى السنة يعني اذا خالفها ردوه ونبهوه وروي ان مولانا علي
قال لحسن له ادخل الحامل ما هذه الجهالة فقال ردوا الجهالات الى السنة وروي انه
قال ذلك حين جعل مهر المنكوحة في العقد في بيت المال ولعلها قصبا وكان يقول
رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وروي ان عمر رضي الله عنه صاح على الناس بالخطأ فقال كل جهل
وامراة علمت وعن الحبر البحر عبد الله بن عباس انه رجع عن نكاح المتعة وكشف اسنه
وقال من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا ابن عباس وكذلك كان في علما كلامه فيه هداهم
اتبت وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال لابي كعب ان الله امرني ان اقرا عليك
قيل والحكمة في ذلك لئلا يانف احد من ان يتعلم ممن دونه

واعلم ان التكبر عن الرجوع الى الحق اما يكون من عدو او صديق صغير
او كبير عالم ام جاهل كبر ومن صفات السلاطين وهم واما العلماء العاقلون فيقبلون الحق
من ايهما وجد حتى من الملامذ والصبيان والنساء والرعاة ويسعد ومن كل من وجد
عنده علم ورب من عدم فالحكمة ضالة المومن والصالح يجد من ايهما وجد
يسعى العالم من العلم والعامل على الثبات على ما قال

يا نسيم الريح قولي للرشا لم يزدني الري الا عطشا

قال سعيد بن جبير لا يزال الرجل عالما ما تعلم فاذا ترك التعلم وظن انه قد استغنى
واكتفى بما عنده فهو اجهل ما يكون وانشد بعض العرب
وليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل
وكان جماعة يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم قال الحميدي وهو تلميذ الشافعي
رضي الله عنه صحبت الشافعي من مكة الى مصر فكنت استفيد منه المسائل وكان يستفيد مني
الحديث وقال احمد بن حنبل قال الشافعي انتم اعلم منا بالحديث فاذا صح عندكم الحديث فقولوا
لي حتى اخذ به وصح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين **تتمة**
قال في بعض كتب الاداب قال علي عليه السلام يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلم
الجهال ما علمت تقدم كلام مولانا علي وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان احد
مكتفيا من العلم لاكتفى موسى عليه السلام لما قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
وقال بزرجمهر ليس العلم الا بحر [illegible] من العلم ومن العلم فضل جميع العلم على ان
العلم يعطي ما يؤخذ منه ويستعيد ما تاخر عنه وليس للتواضع فيه قناعة تعصمه وعن
ابن مسعود منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا اما طالب العلم فانه يزداد لله رضا
وانما يخشى الله من عباده العلماء واما طالب الدنيا فانه يزداد طغيانا ثم قرأ كلا ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى ولكن مستقلا للفضيلة منه ليزداد منها ومستكثرا للنقيصة فيه لينتهي
عنها فقد قيل من وصل علمك استعملك العلم **فايده** ولما كان الحديث
شجون وذكر العلم يجر الطالب ما يجري احببت ان اذكر هنا ادابا تختص بالمجادلة
والمحاورة والمخالطة ينبغي معرفتها ثم الحقه بشيء مما ينبغي لطالب العلم ان يتأدب به خصوصا
مع هذه فمنها ينبغي لحدث ان يقطع حديث من حدثك بحديث نحوه فقد قال العلماء

الى الكلام الحسن وقال بعضهم من قطع عليك الحديث فلا تحدثه وقليل ما هل الذكر قال
الزمخشري اكرم حديث احبك بانصاتك وصنه عن وصمة عدم الغاية ويحق الحراس
من تكلم من هو مشغول بطاعة بكلام مباح او الذي موضعه هنا وفي بعض الآثار عن بعض
الصالحين من شغل مشغولا بالله عن الله ادركه المقت في الوقت **فرع**
يجتمع اذا انا في المخالطة وغيرها ينبغي استعمالها والحذر من بعضها منها ان لا تطيل
في عطفتك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ
من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك
في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب
في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وسف [illegible] في الملا بل عند العلماء من
مسقطات العدالة ولكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى
الكلام الحسن ممن حدثك به من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته
واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا شعرك
وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تصنع تصنع المرأة في التزين ولا
تبتذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا
تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك
فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم وان راوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم في غير
عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا زوجتك ولا عبدك فيها [illegible] يسقط
وقارك وهيبتك عندهم واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتك
وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراك ولا [illegible] باسك ولا

تحت عار كبنيك واذا اهدا عصبك فتكلم تلينه واحباب هذه الامور على العالم
والمتعلم الزم وها هنا فوايد ينبغي لطالب العلم الاعتنا بها حفظا وعملا
قال مولانا علي كرم الله وجهه من حق العالم عليك ان تسلم على القوم عامة وتخصه
بالتحية وتجلس عنده احد وان تجلس امامه ولا تشير عنده بيدك ولا تغمز
بعينك غيره ولا تقولن قال فلان خلاف قوله ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن
عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره لله تعالى وان كانت له حاجة سبقت القوم
الى خدمته ولا تسار في مجلسه ولا تاخذ بثوبه ولا تلح اذا كسل ولا تشبع من
طول صحبته فانما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شي وان المومن العالم
لاعظم اجرا من الصايم القايم الغازي في سبيل الله واذا مات العالم انثلم ثلمة
في الاسلام لا يسدها شي الى يوم القيمة اخرجه الخطيب قال السمهودي
ولقد جمع رضي الله عنه في هذه الوصية ما فيه مقنع قال العلما وينبغي
ان يجلس بين يدي الشيخ جلسة الادب كما يجلس الصبي بين يدي المعلم او متربعا
بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ويقعد الحلقة بحيث يراه ويصغي الى
الشيخ ناظرا اليه ويقبل بكليته عليه متعقلا لقوله ولا يحوجه الى اعادة
الكلام مرة ثانية وعن ايوب قال حدث سعيد بن جبير يوما بحديث فقمت
اليه فاستعدته فقال ما كل ساعة احلب فاشرب ولا يلتفت من غير ضرورة
ولا ينظر الى يمينه او شماله او فوقه او قدامه لغير حاجة ولا سيما عند
بحثه له او عند كلامه معه فلا ينبغي ان ينظر الا اليه ولا يضطرب لضجة
يسمعها او يلتفت اليها ولا سيما عند بحثه له ولا ينفض كمه ولا يحسر ذراعيه